

✳

تشن المرأة العربية في هذه الأيام حملة لنيل حقوقها، وعلى رأسها الحقوق السياسية، وقد أحرزت بالفعل بعض الظفر بما تريد وإزاء هذا التطور لا يسع المرء الا أن يتفاءل خيراً. فالواقع ان المرأة العربية في وضع اجتماعي سقيم يعوق أي تقدم عام.

فلو تأملنا حال الاسرة العربية، لوجدناها أبعد ما تكون عن حال الاسرة المثالية. فمن المبادىء الأساسية للاسرة المثالية، قيام اتحاد الرجل بالمرأة على الحب والاعجاب والاحترام بالتبادل، وعلى الشعور بواجب توريث تمدنها وصفاتها الممتازة للأبناء. غير أنه يمكن القطع بفقدان هذين المبدأين بوجه العموم في الاسرة العربية: فالوجود الفعلي فيها وجود جانبي مقصور على الرجل، ولا وجود فيها للمرأة بازائه لانعدام شخصيتها التام: فلقد جرّدها تأخرها من أية ارادة او فكرة سامية، وحتم عليها ان تكون في نظر الرجل مخلوقاً مستضعفاً كأي حيوان أليف لا شأن له غير التلبية العفوية لمطالب السخرة والاستثمار. وقد حرمها هذا التأخر احترام الرجل، فألزمها سلوكاً خاصاً متناوباً بين الرغبة والرهبة، محوره الاطاعة العمياء، فامّحى كيانها، واستحال عليها تكوين فكرة الاحترام، أو مبادلتها بمثلها، كما استعصى عليها الرقي الى الشعور بأي واجب نبيل. أضف الى هذا ان شعور الانسان بوظيفته عامل قوي في تحديد أهدافه وسلوكه، والمرأة العربية التي اقتنعت، بحكم سياسة الرجل لها عبر العصور، بأنها مجرد «أداة للمتعة والخدمة»، وأن وظيفتها منحصرة في إتقان عمل هذه الأداة، لا سبيل لها الى الايمان بوظيفة غير هذه، ولا الى القيام بمجهود نافع للمجتمع حريّ بالتقدير. فوضع الاسرة العربية وضع مبتور، لا يسمح لها بأن تكون الوحدة الاجتماعية المتينة التي ينهض عليها بناء المجتمع السليم، إذ أن المرأة التي هي ركن أساسي فيها، لا تستطيع وهي علاوة على جهلها فاقدة الشخصية، ان تأتي عملاً ايجابياً، كأن تربي جيلاً وتمنحه شخصية قوية. ولا عبرة هنا بوجود فئة من الاسر المستنيرة في الوسط العربي، فلا تعدو هذه الفئة ان تكون أقلية ضئيلة جداً من اصل اربعين مليوناً من البشر، وليس لحُكمها ان يسري على المجموع بحال من الاحوال.

فمن الواضح أن حملة تحرير المرأة حملة مشروعة، وان هذا التحرير واجب صريح، ولكن الذي يطالعنا هنا، هو أن تحقيقه على نحو سوي أمر دقيق وعسير.

فلو بحثنا حالة الرجل العربي، لرأيناه إنما يتحرك بوحي تقاليد وعادات اجتماعية هي من صنعه هو نتيجة لسلطانه. ومعظم هذه التقاليد والعادات إن لم نقل كلها مستقطب في شؤون المرأة بشكل يكاد يكون فريداً في العالم. فهي تنضح بكبت جنسي عميق، وهي لا تستلهم غير معاني الحظر والاستئثار، والحيطة والحذر؛ فهي إذاً وليدة ضعف وقصور وبعد عن تفهم الحرية، وروح الاعتبارات التي تتبلور فيها متركز في الضغط والاتهام. فالمرأة واقعة تحت نير الضغط، وهي دائماً متهمة. وكلا الضغط والاتهام وخيم العاقبة، إذ يؤدي بطريق غير مباشر الى تكوُّن الشعور بالاثم في الجانب الآخر: ففضلاً عن وضوح أثر الاتهام من هذه الناحية بسبب طابعه الاجماعي، نجد أن الرغبة في التحرر التي يولدها الضغط بطبيعته، تصطدم بالاعتبارات السائدة، وبالاقتناع الاجماعي بصحتها وشرعيتها، فتنطوي على ذاتها في كظم خفي او ظاهر، بحيث تتخذ في نظر المرأة صورة الاثم. وطالما كان هذا الضغط او ذاك الاتهام موجوداً فعلاً، فان شعور المرأة بالاثم شعور حقيقي صميم، ولا مفر لها منه. وليس أدل على واقع هذا الشعور، من لجوء المرأة العربية في كثير من ظروف حياتها اليومية الى الكذب وكتمان تصرفات لها هي في حد ذاتها من البراءة والتفاهة بمكان.

وواضح أن الشعور بالاثم سوف يقوى وتجلُ خطورته عند المرأة، إن هي تحررت من قيودها المادية قبل زوال الاعتبارات الاجتماعية المحدقة بحياتها، لأن المبدأ الرئيسي لهذه الاعتبارات يتلخص في ان حرية المرأة أمر غير مشروع، ولذا فان ذلك التحرر بوصفه فعلاً وتحققاً، يمنح هذا الشعور شواهد إثبات عينية، بعد أن لم يكن سوى مجرد شعور واهم مفتقر الى التأييد.

ولا تخفى أهمية الشعور بالاثم هذا، فهو عقبة في سبيل كل تطور صحيح، وحسبنا أنه يذهب بمعنى الحرية المنشودة للمرأة من الأساس، ويتحول به الى معنى «الطفور» الذي لا ينتهج غير العبث والفوضى. والواقع أن أهم ما تتسم به حركة المرأة الراهنة هو

عرس الدم

لفيديريكو جارسيا لوركا   ترجمة الدكتور علي سعد

من اسرة الجيل الملهم

*

بمناسبة مرور ثمانية عشر عاماً على مصرع فيديريكو جارسيا لوركا، الذي يعتبر دون منازع اكبر شعراء اسبانيا الحديثة، برصاص افراد «الكتائب» في اوائل الحرب الاهلية الاسبانية تنشر الاديب فصلاً من مسرحية* « عرس الدم » للشاعر الاسباني الكبير.

°°°

الفصل الثالث — اللوحة الاولى

(غابة في الليل. جذوع سامقة رطبة. جو احتباس. تسمع نغمات كمانين . يدخل الحطابون)

الحطاب الاول : هل وجدوهما ؟

الحطاب الثاني : لا. ولكنهم يبحثون عنهما .

الحطاب الثالث : ولسوف يدركونها ...

الحطاب الثاني : صه !

الحطاب الثالث : ماذا ؟

الحطاب الثاني : لكأني أسمع السرى على كل الدروب ، في آن واحد ...

الحطاب الاول : سوف يرونها ، عندما يطل القمر .

الحطاب الثاني . ليدعوهما وشأنهما .

الحطاب الاول : العالم رحب. وبوسع كل الناس أن تعيش فيه.

* وستصدر المسرحية كاملة عن « دار المعجم العربي » . وقد نقلها الى العربية الدكتور علي سعد.

الحطاب الثالث : ولكنهم سيقتلونها .

الحطاب الثاني : لقد أحسنا بهربها ، طالما هما يتحابان .

الحطاب الاول : لقد كبحا جماح نفسيهما ، ما استطاعا ، ولكن الدم كان أقوى منهما .

الحطاب الثالث : الدم !

الحطاب الاول : لا بد من سلوك طريق الدم .

الحطاب الثاني : ولكن الأرض تشرب الدم المطلول .

الحطاب الاول : وما في ذلك ؟ لأن يموت المرء نزفاً حتى آخر قطرة من دمه، خير له من العيش بدم فاسد.

الحطاب الثالث : اسكتوا !

الحطاب الأول : هل تسمع شيئاً

الحطاب الثالث : إنني اسمع الصراصير والضفـــادع ، والليل الذي يترقب ...

الحطاب الاول : ولكن هل تسمع وقع حوافر الجواد ؟

الحطاب الثالث : لا .

الحطاب الاول : لا بد انه على وشك امتلاكها، في هذه الساعة.

الحطاب الثاني : لقد كان جسدها ملكاً له، وجسده كان ملكاً لها.

الحطاب الثالث : انهم يبحثون عنها ولسوف يقتلونها .

الحطاب الاول : ولكن عندما سيجدونها ، فسيكون قد مزج دمه بدمها . وسيكونان كاناءين فارغين ، او كساقيتين قد جفتا .

الحطاب الثاني : السماء واطئة . ومن الجائز الا يبين ضوء القمر.

الحطاب الثالث : بضوء القمر او بدونه سيجدهما الخطيب. لقد رأيته عند خروجه . انك لتحسبه كوكباً غاضباً. لقد كانت سحنته بلون الرماد . وكان يحمل في وجهه طابع القدر المكتوب لسلالته.

من هذا القبيل، ولا ينأى عن هذا المسلك شيئاً كثيراً، بحيث ان هذه الحركة تكاد لا تتخذ غير مظهر اسلوب تعويض عن شعور بنقص.

لذا كان لا بد لنا من الاعتراف بما تمتاز به قضية المرأة العربية من دقة بالغة؛ فهي قضية فريدة في نوعها، لأنها تتناول الرجل ايضاً الى جانب المرأة ، فالرجل العربي مفتقر الى التحرير كالمرأة العربية سواء بسواء: إنه بحاجة الى الانعتاق من تقاليده وعاداته واعتباراته البالية والمرأة ذاتها في حاجة الى التحرر معه ايضاً ، وقبل نيل حقوقها ، من هذه المؤثرات الجانية ، إذ أنها شريكة له في تبنيها والخضوع لفعل وحيها أو ردود فعله ، ولا تحرير للمرأة الا بتحرير الرجل والمجتمع بأسره . ليس يكفي تثقيف المرأة لتحريرها ، فأمر تثقيفها — على ضرورته — لا يعدو أن يكون إصلاحاً جانبياً ، فضلاً عن ان الثقافة قلما تفلح وحدها في اجتثاث رواسب الماضي الفاسدة من النفوس . إنما ينبغي إعادة النظر في جميع التقاليد والمعتقدات العربية التي عفّى على أغلبها الزمان ، وكل حركة تحرير للمرأة تتجاهل هذه المهمة مكتوب لها الفشل ، لأن هذا التحرير جزء أصيل من ثورة اجتماعية شاملة للاصلاح مترابطة الاجزاء .

محمد وهبي

الحطاب الاول : سلالة قوم لا يموتون الا قتلًا في الشارع .

الحطاب الثاني : نعم .

الحطاب الثالث : هل تعتقد انها سيتمكنان من فك نطاق الحلقة المضروبة حولها ؟

الحطاب الثاني : صعب . فهناك بنادق وخناجر علـى مسيرة عشر ساعات .

الحطاب الثالث : وهل يركب جواداً لهموماً .

الحطاب الثاني : نعم ولكنه يحمل امرأة .

الحطاب الاول : ها قد وصلنا .

الحطاب الثاني : شجرة ذات اربعين غصناً ،سوف نقطعها باكراً .

الحطاب الثالث : لقد اهلّ القمر فلنعجل .

(يظهر وهج الى اليسار)

الحطاب الاول : آه ! ايها القمر القادم
مع الاوراق الوارفة !

الحطاب الثاني : يا قمراً دمه من ياسمين

الحطاب الاول : لهفتا عليك من قمر مهجور
على الاوراق الخضراء !

الحطاب الثاني : يا فضة على جباه العرائس .

الحطاب الثالث : ايها القمر ، يا ذا العين الشريرة
دع الظل للعاشقين ، تحت الغابة

الحطاب الاول : ايها القمر المفجع
دع الظل للعاشقين تحت الفن

(يخرجون.في الضوء الى اليسار يبدو القمر ، في زي حطاب يافع ذي وجه أبيض . يمتلىء المسرح بوهج أزرق قوي)

القمر

أنا الاوزة المستديرة على وجه الماء
أنا شمس الكاتدرائيات .
انا كذبة الصباح الناحل
على الاوراق والغصون .
كيف يستطيعان النجاة ؟
من الذي يختبىء ؟ ومن الذي سيبكي
في عو سجات الوادي ؟
ان القمر يلقي بمدية
في هواء الليل الذي غمره وهجه
والمدية تترقب من علُ

لتصبح ألماً يتنزى .
افتحوا لي ! فالصقيع يؤلمني عندما
أجرر اذيالي على الجدران والبلور
افتحوا صدوراً بشرية
فألج الى اعماقها وراء الدفء .
البرد يصك اضلعي . ورمادي الذي سوّي
من اكثر المعادن اغفاءً
يبحث في الجبال والسهول
عن نار يحترق على ألسنتها .
ومع ذلك ، فالثلج يحملني
على كتفه الرقطاء .
وأحياناً كثيرة يبقيني ،
أنا القاسي البارد ،
غريقاً في قبضة ماء المستنقعات .
ولكن ، هذه الليلة ،
ستضيء في خديّ حمرة الدم
وفي الأشواك المؤتلفة
التي تتأود في الريح .
لا ملجأ ولا ظل يقي من عيني .
لا شيء يعينهما على الافلات مني .
أنا أريد صدراً بشرياً
التمس فيه الدفء
سيكون لي قلب
دافىء يتدفق
على تلال صدري ...
دعوني ادخل ، دعوني

(للأغصان)

لن أدع مجالاً للافياء ، بعد الآن
فاشعتي سوف تنفذُ
تمتمات الأضواء
حتى عصب الجذوع القائمة .
ولسوف أمر ، هذه الليلة ،
بالدم الطريء على وجهي ...
وعلى الأشواك السامرة
التي يؤودها الليل ...

من الذي يختفي ؟ اذهبا ...
لا .. لا عاصم . ان منيتهما قد أعدت .
وأنا اضيء على البهائم
حميًا الماس .

(يختفي القمر بين جذوع الأشجار فيظلم المسرح من جديد. تدخل امرأة عجوز مرتدية اسمالاً خضراء،عارية القدمين. ولا يكاد يرى وجهها في ثنايا الثوب)

السائلة : القمر يختبىء وهما يقتربان ، انهما لن يذهبا الى ابعد ، فهدير النهر ، وحفيف الاغصان سيخنقان صرخاتهما . هنا سيموتان ، هنا بالتأكيد ، وقريباً ، آه انا متعبة ، ليعدوا الصناديق ، فعلى الثرى ، في اقبية الاجداث ينتظر الكتان اجساداً مثقلة دامية النحور . (بنفاد صبر) .
هذا القمر ! هذا القمر !

(يبدو القمر ، فيعود ضوء أزرق عميق)

القمر : انهم يقتربون ، بعضهم عن طريق المقصبة. والآخرون عن طريق النهر . انني سأؤلق الحصى .
ماذا تريدين ؟

السائلة : لا شيء .

القمر : الهواء اصبح قاسياً ذا حدين .

السائلة : اضيء الصدرة ونح الازرار: فالخناجر تعرف طريقها .

القمر : ولكن ليبطئا في موتها . وليلهث الدم فاحلاً من بين انامل العشر . انظري . ان رماد اوديتي يستيقظ في انتظار هذا الدفق.

السائلة : لا تدعهما يجتازان الغدير . صه !

القمر : ها هم ..

(يذهب القمر تاركاً المسرح في العتمة)

السائلة : اسرع ! هات كثيراً من الضوء ! هل تسمعني ؟ انهما لن يفلتا !

(يدخل الخطيب والفتى الاول . تقف السائلة وتغطي وجهها بيدها)

الخطيب : من هنا !

الفتى الاول : انك لن تجدهما !

الخطيب : (بعنف) انا لن اجدهما ؟

الفتى الاول : لا بد انهما سلكا الضفة الثانية .

الخطيب : لا فقد سمعت صوت جواد يركض .

الفتى الاول : ربما كان جواداً آخر .

الخطيب : لا يوجد في الكون ، غير جواد واحد ، وانه هو هل فهمت ؟ ان اردت ان تتبعني فاسكت .

الفتى الاول : ذلك اني كنت اريد ان ...

الخطيب : اسكت ! انا واثق من اني سأجدهما هنا. انك ترى هذا الساعد . هو ليس ساعدي، انه ساعد اخي وابي وساعد كل قتلى العائلة ، انه قوي حتى انه يستطيع اقتلاع هذه الشجرة مع جذورها ، لو شاء، سر بنا، فان اسنان جميع بني قومي تغرز فيّ وتقطع انفاسي .

السائلة (شاكية) : آي !

الفتى الاول : هل تسمع .

الخطيب : اذهب الى هناك وقم بجولة .

الفتى الاول : انه لقنص حقيقي .

الخطيب : قنص ! واجمله !

(يخرج الفتى يتجه الخطيب الى اليسار فيقع على السائلة)

السائلة : آي !

الخطيب : ماذا تريدين .

السائلة : انني اشعر بالبرد .

الخطيب : الى اين انت ذاهبة ؟

السائلة (متابعة تأوهها) : بعيداً .

الخطيب : من اين انت قادمة ؟

السائلة : من هنالك . من بعيد جداً .

الخطيب : هل رأيت رجلاً وامرأة على جواد ؟

السائلة (رافعة غطاءها) : انتظر . (تتأمله) . فتى جميل !
(تنهض) كنت احبك اكثر وانت مسجى .

الخطيب : اجيبي هل رأيتها ؟

السائلة : انتظر .. ان لك منكبين عريضين ، انك ستكون اجمل ، وانت مسجى على ظهرك ، منك على راحة قدميك .

الخطيب (هازاً اياها) : انني أسألك اذا كنت رأيتها ؟ هل مرا من هنا ؟

السائلة (بعزم) : لا . ولكنهما يهبطان الهضبة ، الاتسمع ؟

الخطيب : لا .

السائلة : هل تعرف الطريق ؟

الخطيب : لا . ولكنني سأذهب ، رغم ذلك .

السائلة : اتبعني فانا اعرف المنطقة .

الخطيب (بنفاد صبر) : لنذهب . من اين ؟

السائلة (بلهجة المأساة) : من هنا !

(يخرجان مسرعين)

ليونارد : اسكتي !
الخطيبة : والآن سأذهب وحدي . امض اريد ان تعود .
ليونارد : اسكتي !
الخطيبة : بأسنانك ، او بيديك ، او بأي ما في وسعك ، انزع عن عنقي عقد الفتاة العذراء هذا ودعني جاثمة في منزلي الترابي واذا لم تشأ ان تقتلني كبعوضة صغيرة ، فاعطني بندقيتك. آي اية نار تحترق في رأسي ! ان شظايا من الزجاج تعض بعضها البعض على لساني .
ليونارد : لقد نفذ سهم القدر، اخرسي فهم يتبعوننا ! انني سأحملك
الخطيبة : بالقوة ، اذن .
ليونارد : بالقوة ؟ من منا الذي كان الاول في هبوط الدرج؟
الخطيبة : أنا الذي هبطته.
ليونارد : ومن الذي وضع لجاماً جديداً للجواد ؟
الخطيبة : أنا. هذا صحيح .
ليونارد : وأية ايدٍ جهزتني بالمهاز ؟
الخطيبة : يداي اللتان هما ملكك ، واللتان تودان ، رغم ذلك تحطيم الاغصان الزرقاء في شرايينك واسكات تمتمتها... انني احبك ! انني احبك ! تنحَّ ! لو امكنني قتلك لدفنتك في كفن موشى بالبنفسج . أية نار تصعد الى رأسي ! أية نار !
ليونارد : أية شظايا زجاجية تغرز في لساني. لقد اقمت جداراً من حجر بين بيتك وبيتي، لأنساك. هذا صحيح هل تذكرين؟ وعندما رأيتك ذررت الرمل في عيني . ولكنني اركب الجواد . والجواد كان يحملني اليك. كان دمي أسود تخزه دبابيس من فضة. وكان الرقاد يذيب في دمي مجاجة الاعشاب السامة. لم يكن الذنب ذنبي : وانما ذنب الأرض، وأريجك هذا الذي يعبق من نهديك ، من غدائرك .
الخطيبة : آه ! أي جنون ! انني لا اريد مشاطرتك مضجعك ولا خبزك، ولكنني مع ذلك اشتهي ان اكون معك طيلة النهار ، انك تجرني وأنا أتبعك ، انك تقول لي : «اذهبي» فاتبعك في الهواء ، كالحشائش . لقد تركت رجلاً قاسياً وكل أحفاده ، في وسط العرس ، واكليل الليمون لما يزل على رأسي . انا لا اريد ان يقع العقاب عليك ، أنت ! اتركني ! وانج بنفسك ! ليس لك أحد هنا يحميك !
ليونارد : ان طيور الصباح ، ترتطم بالاشجار . والليل يحتضر على شفار الصخور . سيري بنا الى ركن الفيء حيث سأتملى من حبك . وما همنا من الناس وسمومهم ؟ (يضمها بشدة).
الخطيبة : سارقد عارية ، على قدميك ، لأسهر على احلامك واتأمل الاشجار (بلهجة المأساة) كالكلبة التي انا هي. انا اتأملك فيحرقني جمالك .
ليونارد : الضوء يعانق الضوء . واللهب الصغير الواحد يقتل سنبلتين معاً . تعالي (يجرها) .
الخطيبة : الى اين تسير بي ؟
ليونارد : الى حيث لا يستطيع المضي مطاردونا ، الى مكان استطيع ان اتأملك فيه !
الخطيبة (لاذعة) : احملني من سوق الى سوق انا وصمة النساء الحرائر ، واجعل لي علماً من اغطية عرسي ، مشرعة في مهب الرياح . .
ليونارد : يتحتم علي ان امضي ، انما لا استطيع انا ايضاً ، الا اتباعك ، جربي ، اخطي خطوة. ان مسامير القمر تشد خصرك الى قامتي .
(كل هذا المنظر يبدو عنيفاً وزاخراً بالرغبة)
الخطيبة : هل تسمع ؟
ليونارد : انهم آتون .
الخطيبة : انج بنفسك . فمن العدل ان اموت هنا واقدامي في الماء والاشواك على رأسي فستبكيني الاوراق ، انا القطة انا العذراء .
ليونارد : اسكتي ! انهم يصعدون .
الخطيبة : اذهب .
ليونارد : اسكتي . فلا يسمعونا . تعالي وامشي امامي .
(الخطيبة تتردد)
الخطيبة : لا ، معاً .
ليونارد : (يضمها) كما تشائين ! واذا قدر لهما ان يفصلونا فمعنى ذاك انني اكون قد مت .
الخطيبة : وانا ايضاً سوف اكون بين الاموات .
(يخرجان متعانقين)
(يرتفع القمر ببطء كبير يضيء المسرح بوهج ازرق قوي . وبغتة تسمع صرختان مريرتان ، جريحتان ، وتقف الموسيقى فجأة. وعند الصرخة الثانية تظهر السائلة مـــديرة ظهرها للنظارة . تفتح رداءها وتظل واقفة في وسط المسرح كغراب ذي جنحين فسيحين يقف الوهج القمري عليها . ويسدل الستار في صمت مطلق) .

علي سعد



امي

✳

ما افترّ ثغرك عن رضا بشرا ... الا وسبّحَ خافقي شكرا

واهتاجني شغف أكاتمه ... لك في حنايا أضلعي سرا

وحسبت صدري حال عاصفةٌ ... أو أن فيه مهجة سكرى

أمي وكم لك من يد سلفت ... عندي عييت بعدها حصرا

هيهات يجزي الشكر أجر يد ... تنهلُّ في تسكابها قطرا

أجد الكرام على تفاوتهم ... يبغون عن احسانهم أجرا

وبذلت قلبك غير سائلة ... أجر المثيب عليه أو شكرا

✲

تسعين جهدك غير وانية ... ما انشق ثغر الفجر مفترّا

تستعذبين الضيم ان نعمتْ ... عين البنين بنومها نذرا

كلٌ له في سعيه أرب ... أأطال أم قصر السرى قسرا

وسعيت في اسعاد ناشئة ... حكت القطا في طهرها طهرا

✲

وهششت حتى خال ناظرنا ... أنا من أثاب وانت من أطرى

فخفضتُ من ذل ومرحمة ... لكِ جانحاً ومددت باليسرى

وأخذتني بيديكِ ناشجة ... من رحمة ورنوت لي حيرى

فتدافق الدمعان وامتزجا ... عين تسحُّ ومقلة شكرى

واذا سما عن شهوة وَلَهٌ ... دُعيَ الحنان وسُميَ البرا

✲

أمي وما أبهاك من نغم ... رددته في خاطري شعرا

أألام ان سجّعَت من طرب ... وشدوت حمدا باسمك العمرا

وبكفك الدنيا تفيض سنا ... من رحمة وتدفقت عطرا

دمشق ... عدنان مردم بك

الشاعر والنساء وعظمة في الطين

لجبرا ابراهيم جبرا

•

بغداد

أيتهن ، ايتهن ؟

وأنا ما زلت في تطوافي بينهن
أجمع ما بين الرخام وبين الرغام
والشمس دافقة فوق اشجار النخيل.
والشفة العذراء تصيح :
« العشق في الجسد ، في اللحم والعظم »
والشفة الفاجرة
تلغط عن رعشة الروح .

أيتهن ؟
أتلك التي تقذف الماء بحفنة من ماس
فيشعشع ،
أم تلك التي بضحكة سمراء منها
تبرّد حرّ الظهيرة ،
أم تلك التي تستعيد رقصة الأمس
بغمزة عين وإيماءة يد ؟

(خدّ من لهيب وخدّ من دخان
وللضحك رنين كالذهب .)

ألست اوشّي الاكاذيب لمتعتهن ،
فأكسو الجرح بثوب من دمقس
وعلى الاسنان العارية اضفي
شفاهاً كالكرز
واجعل يومهن الوني‌ء وراء الستائر المسدله
يفر فرار احلام الصباح ؟

واذا ما انصرفت عنهن واحدة واحدة
وفتحت نافذة تطل على صفرة النهر ،
وابصرت عظمة ساق قد غُرزت
في ضفة الطين ، وغراباً يهوي

*

ليحط عليها اقحوانة من منقاره ،
ولجّ بي السؤال :
« ايتهن ؟ »
بماذا أجيب ؟

أأروي كيف دنت بوجهها
وشفتاها كاس من الياقوت
نُقش فيها إلٓه الحب
مقيّداً بالسلاسل ؟
وكيف انتظرت الثانية في ظلمة دارها
وعلى شفتيها إلهة الليل لا تخشى
إلا صراحة رابعة النهار ؟
والثالثة كيف تلألأ اللفظ بين شفتيها
كشظايا الزجاج في ليلة مقمرة ؟

« أيتهن ؟ » والغراب يهوي
على ضلوع لا لحم عليها
ويزرع الأقاحي في عيون الجماجم .

لقد رأيت عيوناً كهويّ لا قرار لها
وعيوناً كالزخارف الاندلسية .
رأيت عيوناً تجمح كالخيل
او كالنمور تغير .
(شفة من نار وشفة من رماد)

رأيت عيناً تبث الشهوة خلسة
وعيناً تغلق الابواب عما وراءها ،
عيناً تقد الاهداب كأيد مستنجدة
وعيناً في وقدها نصل يشع
(والدمع ساقية في الطين) .

ايتهن ، ايتهن ؟
أتلك التي لبست جلباباً أسود معلنة
الحداد منذ أن نهدت ؟
(عين من نار وعين من رماد
والدمع ساقية في الطين)
أتلك التي رفعت النقاب عن وجهها
فرأت حولها طوقاً بعد طوق من حديد؟
(يد من نار ويد من رماد
والدمع ساقية في الطين)
أتلك التي وراء الجدار المهدم قلت لها
« حديقة الله في هذا الجسد » ؟
(نهد من نار ونهد من رماد
والدمع ساقية في الطين)

ايتهن ؟
ما نفع السؤال والحدائق اصفرت حواشيها
وعشر شموس قد نضجت
بجراثيم تنصب على سباخ الحقول ،
وضفاف الأنهر قد نمت
عظاماً بين السنابل .

لقد جاء عبر النهر غراب
نزع الجلد عن الرأس
ورفع اللحم عن الصدر ، ونسي
أن يترك بين الضلوع اقحوانة واحدة .

الريح الشمالية

بقلم سعيد حورانية

من رابطة الكتاب السوريين

قصة

ابداً تظل تومض تحت الرماد* ، لا تحتاج الا لهبة خفيفة من ريح شمالية ناعمة . تلك الصلات والروابط التي تصلنا ببعضنا ، تتكاثف عليها ذرات سود كثيرة ، كثيرة حتى لتخفي معالمها ، وفجأة تتقد كأنها ماسة نادرة ، تنشر الدفء والحرارة في الحياة .

الآن افهم لماذا وقفوا جميعاً يودعونني . الام بوجهها الصارم الذي تعود دائماً ان يطالب بعينين قاسيتين اجرة الغرفة ، وكان الاولاد اقل تحفظاً ، فكانت اعينهم تدمع وهم يبتسمون لي ، ويدورون حولي ، ويتمسحون بي ، اما الاب فقد وقف ينظر الي بصمت ، وانا ابتعد في غبش الصباح الوليد ، وحسّوني الذي تركته ، ذلك الطائر الاثير ، المتعشق دوماً للحب ، يصفق للفجر ، ويهزج كالعادة .

ولما ابتعدت ، لم استطع ان اقاوم . لقد تركت قلبي هناك . هذا البيت المعتم قد ضم قطعة من حياتي ، التفت لألقي نظرة اخيرة ، كانوا واقفين امام الباب ، ورفعت الأم يدها بضعف ، وخيل إلي ان في عينيها دموعاً حقيقية .

يا اصدقاء الثلاثة الأشهر !! سيفنى كل شيء . وعما قريب ، سيحتل سريري وغرفتي شخص جديد يبدأ صراعه معكم ، ويبقى حياً في ضلوعنا جميعاً خيط من العبير . سلك من الحنان يدفئنا في ساعات الشتاء الطويلة . حينما نستسلم للخمول ، وتسرح عيوننا ما وراء الجدران القاسية ، ويقول الواحد منا وهو يتنهد :

– ترى ما يصنعون الآن ؟

لن انقم عليك يا أم ذلك الصباح ، عندما افقت فوجدت الغرفة شبه عارية ، لقد مضى من الشهر اكثره . ولم تمد اليك يدي بأوراق تحمل نسراً يحدق في بلاهة ، اوراق كانت تكفي لتشيع في عينيك البريقتين . . ذلك البريق الذي اعرفه جيداً . . البريق الذي لا يقاوم ، وعندما رأيتك من اعلى السلم ، اشحت بوجهك ، لعلك قد خجلت يا ام ؟ . لا بأس . . لقد كنت دائماً تحتجين بالصغار .

انك تريدين اطعام الحلوق الفارغة ، وكنت تقولين : الاب قد وقف شغله منذ شهرين ، والشتاء قد اقبل . جورج يحتاج الى البسة شتوية ، وأولغا قد اهترأ ثوبها اليتيم ، والخبز قد قفز سعره ، والمدارس قد افتتحت ومعنى هذا ان جوزيف يحتاج الى كتب . الدهر لا يرحم ، ثم تتنهدين وتلتفتين الى الاولاد صائحة :

– الناقوس يرن . تهيأوا جميعاً للصلاة الثانية .

وعندما عدت في المساء ، وجدت الغرفة وقد اعيدت الى سابق عهدها . وأنّ الدرج الخشبي العتيق تحت وقع خطواتك ثم انتصبت واقفة على الباب وانت تحاولين الابتسام ، وعلى يديك كأس من الشاي يتصاعد منه البخـــار ، ثم قدمته إليّ في خجل :

– لقد اجرنا الغرفة الأخرى !!

شخص آخر اذن ، مد يده اليك بالاوراق ذات النسر البليد . شخص آخر إذن ، سيدفع ، لقاء حيطان اربعة تقيه هبات الشتاء . ولم ادر ما اقول ، وانما اشحت بوجهي وانا ارشف جرعات الشاي بصوت مسموع .

وعندما ذهبت يا ام ، وتلاشى وقع خطواتك ، شعرت برغبة قوية بأن اجري وراءك واضمك الى صدري ، وابكي على كتفك طويلاً .

على اني بكيت في الليل .

وتتالى نزع الاثاث ، وتتالى ارجاعه وكنت في بعض الاحيان احس ان الغطاء الوحيد الذي تركته لي ، لا يستطيع رد لسعات البرد القارس عني ، وكنت اصمت ، واعرف انك هناك . في الغرفة الأخرى ، تتقلبين ولا تستطيعين النوم كأن شيئاً يخزك من اطرافك ، ثم اسمع وقع خطواتك المرتقبة المتلصلصة عـــلى الدرج فاتظاهر بالنوم . ثم اشعر بشيء ثقيل يلقى عـــلى السرير ثم يتمدد علي بعناية ، ساداً الثغرات التي يستطيع البرد الخائن ان ينفذ منها الي . لقد رُدّ الغطاء الآخر الذي نزع في الصباح . وكنت اكتم انفاسي الثائرة ، حتى اسمع صوت زر الكهرباء وهو يطق فيسود الغرفة الظلام .

عـــلى انك لم تقولي لي يوماً بصورة مبـاشرة : – « اخرج من الغرفـــة » ، الا في ذلك اليوم ، الذي اتفقت فيه مع

* من مجموعة قصصية بهذا العنوان تعد للطبع .

اولغا على ان نذهب معاً في نزهة جميلة . وكنت قد دفعت اجر الغرفة سلفاً عن شهر كامل . وخيل الي ان لي الحق في ان استأجر البيت كله وكانت نزهة جميله . ضحكنا ولعبنا كالاطفال . وركضنا كأننا مجنونان . وسمحت لي ، اخيراً ، ان اقبل يدها .

ورجعت الى البيت وحدي ، بعد رجوع اولغا بزمن طويل حتى اوهمك يا ام باني كنت في الجامعة . ولكنك كنت متقطبة فاحسست بذعر خفي وصعدت الى غرفتي سريعاً ، واخذت اتشاغل برؤية المارة من على الشرفة ، وعرفت انك ستصعدين. ولكنك ترددت طويلا ، ومر وقت طويل قبل ان اسمع الباب وهو ينقر بارتباك :

– لقد رأوكم !!.

وخاطبتني في جفاء ، وانت تشيحين ، كالعادة ، بوجهك ناحية الجدار . وخيل الي انك تتألمين .

– لقد كان يجب عليكم ان تقولوا لي !!

وتكلمت طويلاً يا ام وكان في كلامك ما يؤلم ، وكنت تقولين في ارتباك :

– انا واثقة منك . ولكن ماذا يقول الناس ؟

وكان يعنيك اكثر ما يعنيك امر زواجها ، وكنت تلحين على السمعة ، وتتحدثين عن متاعب الام بالبنات ، وتتمنين لو انك لم تنجبي اطفالاً .

– عندما يسمع الناس ، انها تخرج مع الشباب فلن يتزوجوها ابداً لن يتزوجوها .

وكنت ترددين : – انا واثقة منك . ولكن ماذا يقول الناس ؟

يا امي .. يا صديقتي .. لقد كان من الطبيعي ان تتطلعي الى بعيد ، الى الاشياء التي لا تخطر مطلقاً على بالنا نحن الشباب ثم تحدثت بحياء عن اختلاف الدين . وعدت من جديـــد الى اسطورة الناس .

وعندما ذهبت ، تركت على الطــاولة اجرة الغرفة المدفوعة .

لقد كنت اعرفك جيداً يا أم ، ففي الصباح ، كانت يداك تقدمان الي القهوة في حنان . وقبل ان تخرجي لفتُ نظرك الى انك قد نسيت شيئاً على الطاولة .

ترددت قليلا ، ولكنك مددت يدك واخذتها .

واخيراً نجحت ، وكان النجاح معناه تغير كل هذه الحياة الفقيرة البائسة التي احياها ، والمحت لك انني قداعين خارج دمشق ولمحت الاسى الحزين في عينيك المتعبتين ، وكنت تسألينني :

– هل يمكن ان يضعوك في دمشق ؟

وكنت اترك لك بعض الأمل ، واجد لذة في ان ارى في عينيك دائماً تلك اللهفة ، التي تحاولين اخفاءها ، وصرتم تدعونني الى قضاء السهرة في الغرفة ، معكم .

لقد أصبحت واحداً منكم ، كما كنت تقولين ، وكنت تعلمين يقيناً ان أي واحد غيري ، سيدفع لك في الغرفة أكثر مما أدفع ، ولكنك كنت تسألينني دوماً بنفس اللهفة :

– هل يمكن أن يضعوك في دمشق ؟.

وكان من الممكن ، يا ام ، ان تهملوني ، بعد ان عرفتم انني سأذهب بعد يومين ، ولكنكم استطعتم ان تبعثوا في قلبي خفقة الألم ، وانا اراكم تأسون أسى حقيقياً على هذا الجار الذي لا يمكن ان يقال عنه يوماً إنه زبون طيب .

سمحت لي ان أخرج مع ابنتك يوماً كاملاً ، وقضينا الليلة البارحة ، ونحن نتحدث وكنت تقطعين الحديث وتسألينني :

– هل هناك جوارب لم ترتق ؟

او تقولين وانت تتنهدين ، وقد فارقك ذلك الحـــذر ، أمام زوجك الصامت :

– هل ستذكرنا ؟ هل ستكتب الينا ؟

*

ها هي ذي اشباحكم تنأى عن بصري ، وانا اتهيأ لأغوص في المنعطف الذي سيغيبكم ... اختفى شبح الاب ، ثم لم أعد ارى من بعيد ، سوى وجهك العطوف .. ورفعت يدك للمرة الاخيرة ولوّحت بها ، ثم اختفيت بسرعة .

لماذا لم تستطيعي المقاومة ؟

الآن سأختفي من حياتكم ، وسيدخل الى قلوبكم كثيرون غيري ، وانا الآخر ، سأنسى في خلال الأحداث المتراكمة ، تلك الأشهر الثلاثة التي عشت فيها قسماً من هذه الحياة التي لا نعطاها مرتين ، وسنكبر ونشيخ وسنصبح آباء وقد يصبح لنا أحفاد . ولكن في ذات يوم ، والرصيف ممتلىء بالناس ، يبرز لي وجه من وراء الضباب ، وأبتسم دون ان اعرفه ، واحاول ان اتنسم ، من خلال أكداس الذكريات ، تلك الملامح المألوفة وأرى بالمقابل الوجه ، ترتسم في عيونه نظرة مستفهمة وسنمضي

بقلم كنيث وكر •

ويلز وعبادة الانسان

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة •

✶

نعد الانسانية (Humanism) اقدم تفسير عقلي مقنع يعوض عن النازع الروحي (الديني) لدى الانسان فهي فلسفة الحياة التي يلوذ بها الانسان ، حين يكون الايمان الغيبي في طور الارتداد والانحسار . واول من اعتقد بهذه الفلسفة هو كونفوشيوس ، الذي ذهب الى ان الصالح العام يمكن تحقيقه ، اذا امكن وضع نظام متزن للصلات الاجتماعية ومن هنا يمكن ان نعد كونفوشيوس من اوائل الانسانيين . ومما يقال بان هذا المفكر الصيني العظيم كان معجباً اشد الاعجاب بـ (لاوتزي) حتى انه قام بسفرة لملاقاته والتحدث اليه ، غير انه لم يتمكن من فهم الموقف (التاوي) * حيال الحياة فعاد ادراجه الى بيته ليستمر في عمله (الانساني) ، وافلاطون الذي عاش في عصر يشبه عصرنا بعض الشيء ، عصر كان فيه الفلاسفة العلمانيون يهاجمون المعتقدات القديمة — افلاطون هذا ، يمكن ان نعده من الانسانيين ، لو لم تكن لانسانيته صلة بالشكل الروحي للفلسفة ذات الطابع الغيبي ، وعلى هذا نشك فيما اذا كان يحسب من الانسانيين .

ومن المؤكد ان ارسطو كان اكثر انسانية من افلاطون وقانون ارسطو الاخلاقي يماثل اقرب المماثلة الشرعة الاخلاقية التي وضعها كونفوشيوس . علمنا ارسطو بان الفضيلة تجلب السعادة ، وهي حد وسط بين متناقضين ، — فالشجاعة تقع بين التهور والجبن ، والكرم يكمن بين الاسراف والتقتير ، والحشمة تتوسط بين الوقاحة والحياء ، تمد الانسانية المجتمع البشري بفلسفة للحياة رصينة متزنة ، محكمة معقولة ، وهذا هو الذي يجعلها تثير انتباه المفكرين والعلماء . ومع معايب هذه النظرة في الحياة ، فان العالم مدين لها بكثير من الفضائل والمآثر في خلال القرن الماضي ، فقد بذل الانسانيون جهدهم واكثر من جهدهم للتخفيف من العذاب الذي يعانيه البشر . وهذا غريب ، لان العلم الذي حل محل الدين في العقلية المعاصرة ، اكد على القوة واللياقة الجسدية ، اكثر من توكيده على المشاركة الوجدانية لغوث الملهوفين ومساعدة المحتاجين .

وسبب ذلك — على ما نعتقد — يعود الى ان الانسان قلما يكون منسجم العقل ، رصين المنطق ، ترى ذلك في اعترافه بـ (مبدأ) بقاء الاصلح من وجهة النظر العقلية ، ورفضه نتائج هذا المبدأ من الناحية العاطفية ، وبسبب هذا التناقض ، نجحت عاطفة — (الرحمة) وبذلك هذبت سائر العواطف ، للحد من تأثيرات العلم المدمرة ، وطبيعي ان فلسفة الحياة التي تجعل الانسان مركز ثقلها ، هي اضعف من الفلسفة الروحية التي تجعل الله

* موقف الخير المطلق غير المحدود بالاحوال الزمنية والمكانية (المترجم)

قليلًا في السير ، ثم نلتفت معاً .

لقد تذكرنا .

وينبعث حنين دافيء يلون حياتنا العجيبة .

وأحس بيد ابني او حفيدي تهزني وصوت ألثغ يسألني :

— من هذه يا بابا .

وأتنهد وأهز رأسي ..

— تلك يا بني قصة قديمة ..

ابداً تظل تومض تحت الرماد ، لا تحتاج الا لهبة خفيفة من ريح شمالية ناعمة ، تلك الصلات والروابط التي تصلنا ببعضنا ، تتكاثف عليها ذرات سود كثيرة ، كثيرة حتى لتخفي معالمها وفجأة تتقد ، كماسة عتيقة نادرة تنشر الدفء والحرارة في الحياة .

دمشق — سعيد حورانية

مركز ثقلها ، غير ان هذا لا يعني اخفاق الانسانية في التهوين من المصاعب الناتجة عن الانهيار الروحي ، ولو انها لم تتمكن من القضاء على هذه المصاعب جملة واحدة . وهذا لا يعود الى قصور في الاقتراحات من جانب الانسانيين ، لانه كما يذكرنا ماكنيل دكسون – ينبغي الا ننسى ان مبدأ (الكمال في العالم) مبدأ قديم له مناصروه المتحمسون .

ومن هؤلاء المصلحين من يعتقد بان آلام الانسان برمتها مردها مصدر اقتصادي واحد في الاصل . وهم يؤكدون لنا بانه متى ما كان للناس بيوت لائقة بهم ، وطعام صحي ، وادوات تحقق النظافة والمعيشة المرفهة ، يصبح شفاء العالم من اوصابه وعذابه ، وما يحيط به من ازمات ورجات من الامور المحتمة ، ولكننا نسأل هؤلاء ماذا سيعمل الناس باوقات فراغهم اذا ما انجزت الامور التي يسعى اليها المصلحون ؟ وطبيعي ان هؤلاء لن يتمكنوا من الاجابة عن هذا السؤال ، واذاما اجاب بعضهم فانهم سيعلقون آمالهم في وضع قوانين جديدة تجعـــل المجتمع محتفظاً بسلامته ، عن طريق التشريع والايقان ببعض القواعد المعقولة الجميلة ، التي ستكون مقبولة من قبل الجميع .

ثم ما هو الموقف الاخلاقي ؟ وما هي القاعدة التي سيستند اليها ؟ لا شك في ان الانحسار الروحي ، وسيطرة العلم على اتجاهاتنا الفكرية ، وضعا اسساً جديدة لمبادىء اخلاقية . الا ان هذه الأسس ليست من المتانة والقوة بحيث تمكن المجتمع من الاطمئنان اليها والتوثق بها .

وخير من يمثل هذا الاتجاه الاصلاحي هو هـ . ج . ويلز في كتابه (الانتصار على الزمن) وانسانيته في هذا الكتاب انسانية علمية خاصة به . وهي تعرف بطابعها الاقتصادي ، فهو يؤمن بان مشكلاتنا يمكن حلها بتنظيم المجتمع تنظيماً احسن ، وبتوزيع الانتاج العالمي توزيعاً معقولاً عادلا وحل مشكلة المساكن حلا جذرياً ، وبمعالجة التربية والصحة العامة بصورة كفيلة بالنجاح ، وبالاستفادة من الاكتشافات والاختراعات العلمية لرفع مستوى الحياة وجعلها لائقة بالانسان المعاصر . وفي هذا الشأن يكتب ويلز قائلا :

« يتفق التاريخ فيما يعلمنا به اتفاقاً دقيقاً مع تعاليم بوذا ، اذ ليس من سلام وطمأنينة في السعادة ولا في الملك ولا في القيادة الا اذا اضاع الانسان نفسه في شيء اعظم من نفسه . ودراسة التقدم البايولوجي تسجل العملية نفسها تماماً ، اي مزج التجربة الذاتية بما هو اعظم منها . فنسيان الانسان لنفسه معناه النجاة من السجن . » *

ثم يصوغ ويلز فكرته بهذه الكلمات « ان عقيدة الدين الجديد الذي قدر له ان يشد اواصر العالم المنبعث من جديـد ، هذه العقيدة واضحة جلية . فهي تطالب باخضاع الشخصية الفردية للعمل الابداعي الشامل ، الذي يتبين بانتصار الحياة على الكون عن طريق مده بالقوة الحيوية . والدين الجديد هذا يخفف من غلواء المخاوف الباطنية النظرية ، ويحدد الانانية الطبيعية عند الشباب والصغار ، كما يستنكر فكرة (الخطيئة) والخلود الشخصي ، هاتان الفكرتان اللتان ترجعان – في مختلف الوسائل – الى منبع واحد ، هو الخوف ، ثم ان هذا الدين ينكر وجود الإله الانساني (Anthropomorphic God) ولا يسمح باستخدام كلمة (الآلهة) بصورة مشوهة ، لانها ان لم تعن شخصية معينة فهي لا تعني شيئاً يؤمن هذا الدين ، بان هدف الحيـاة – في مضمونه وشكله – يقصد فيما يقصد ، الى الانتصار المستمر على الجوع والعطش ، والعوامل الطبيعية والقوى الميكانيكية ، والآلام الجسمية والعقلية ، والتغلب على المكان والزمان ، هذه الاشياء التي مضت عليها كل هذه الدهور الطويلة من غير حل ، ولكن الاحتمالات في المستقبل تبشر بالتمكن منها والغلبة عليها

* مختصر التاريخ هـ. ج. ويلز .

والتقدم الحاصل في الانواع البشرية يستمر في اكتماله في معناه الانساني ، حتى يصل الى مجتمع «كوني يعرف معنى حياته في وعي وادراك . »

غير ان ويلز لسوء الطالع لا يفسر لنا معنى تقدم الانسانية « في ادراك حياتها ادراكا واعياً » ومن هنا فدين (الانسان الجديد) شأنه شأن الاديان القديمة ، له اسراره الخاصة به ،واذا ما رفض ويلز ان يقدم تفسيراً لهذه الاسرار العميقة في الدين الجديد ، فهو يعوضنا عن هذه الخسارة بما يقدمه لنا من دراسة ممتازة للصلة التي تربط بين الفرد والنوع الانساني ، هذه الدراسة التي تتطلب منا دراستها والبحث فيها .

فويلز ، بعد ان رفض المشاركة الوجدانية على الصورة التي يريدها المتطرفون ، الذين يبغون اما اخضاع مصالح الفرد برمتها الى مصالح (المجتمع) او اخضاع المجتمع الى ارادة الفرد ، اقول بعد رفضه ذلك ، يشرح لنا علاقة الفرد بالمجتمع شرحاً واضحاً فيبين معنى هذه العلاقة ويحددها بكونها صلة خاصة ، تختلف بكل جلاء عن الصلة التي تربط بين الانواع Species كل على حدة . تعيش انواع المجتمعات وتموت في نطاق الافراد وكل من هؤلاء الافراد يقدم ما يسعه من اجل المجموع . وهذه العلائق الفردية تقرر الى حد ما ، الصفة العامة التي تطبع المجتمع الموحد بطابعها الخاص .

ان الرمز الذي تعارف عليه الناس ، بان الانواع البشرية ، يمكن تمثيلها بشجرة جذورها عميقة ممتدة في الزمان والمكان . هذا الرمز لا يصلح الآن بعد هذا التطور الهائل الذي طرأ على المجتمعات . غير ان ويلز في استعارته الجديدة ، يصف هذه الانواع بانها شبكة متصلة الاواصر متلازمة الروابط ، فكل فرد هو وشيجة من هذه الوشائج ، تنفصل تارة ثم تعود لاحتضان غيرها من الوشائج . بما تقدم من اسباب التناصر والتضافر والخير العام ذلك بان الفرد الانساني يختلف عن غيره كل الاختلاف او بعضه ومع هذا ، فهو مرتبط بغيره .

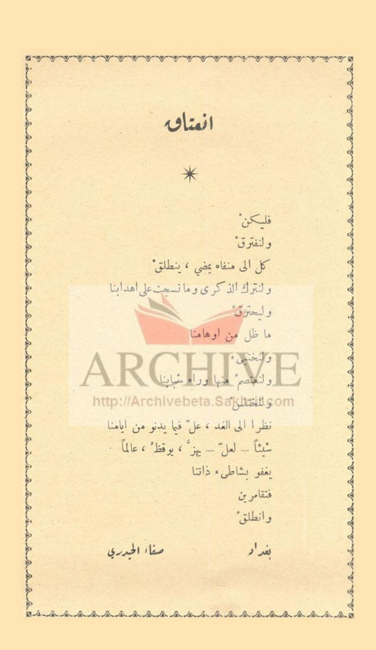
ومقدرة الفرد على تطوير النوع الانساني تستند — على ما يذهب اليه اصحاب مذهب داروين — الى بقاء الاصلح في معركة الحياة . اما اذا تناقض ما يقدمه الفرد مع الاتجاه التطوري ، فعندئذ لا بد للمجتمع ان يرفض هذه المساعدة ويعدها ضرراً بالغاً يتجافى مع مضمون التطور في معناه التقدمي . اذ ان قليلاً من الصفات الفردية ، يمكن ان تثبت نفعها وفائدتها ،وفي تلك الحالة يتمثل المجتمع هذه الصفات فيدمجها في كيانه ..

ومما لا شك فيه ان بعض التشابه موجود بين ما يرمي اليه ويلز ، وما ذهب اليه هارون في تقديم العجل الذهبي للجماهير الهائجة المطالبة بآله ، مهما كانت صفته ، بعد ان طال على موسى الغياب عن آل اسرائيل ، وهذا التشابه يمكن العثور عليه فيما يعرف بعبادة الانسانية ، على ما يصورها ويلز . ذلك بان ويلز بعد استبعاده فكرة (الكائن الاسمى) — في معناه الدقيق — يمضي قدماً فيفصل بين الافراد في نطاقهم الضيق ، ويضع هدفاً عظيما يجمع بين افراد القطيع الانساني في حظيرة (مقدسة) سامية يجعلها غاية الانسان وفيها يندمج الفرد ، لتكون له ملاذاً يلجأ اليه فيعينه على المصاعب التي يقاسيها والمكاره التي تطحنه طحناً ، ولا يتجلى ذلك كله ، كما يتجلى في العذاب الجسمي والذهني (وعلى الاخص في وقت الازمات الاقتصادية والرجات التي تعقبها) وهذا الانسان على حسب رأي ويلز : (.. يجمع بين المعرفة والذاكرة ، فيجعلها علماً وتاريخاً يشدان اواصر الارادة الشاملة لتنتج غرضاً مشتركاً للديمومة والبقاء والنماء . اذ انها نهاية تطورنا الفكري وهي يمكن ان تحدد في سيطرة الانسان الواعية على مصيره ومصير الحياة باسرها في هـــذا الكوكب السيار) * .

ومن هنا يبدو ان ويلز مثله مثل برغسون واوسبنسكي ، ينظر الى غاية التطور كأنها خلق لانسان من نوع جديد الا ان ويلز يختلف كل الاختلاف عن برغسون واوسبنسكي فالاخيران يعتقدان بان الانسان الجديد هو فرد وصل الى ما وصل اليه بتأثير جهد خاص . في حين ان مثل هذا الانسان عند ويلز هو عضو من اعضاء نوع جديد جاء الوجود بصورة عفوية (اوتوماتيكية) عن طريق تسلسله من الوف الآباء والاجداد . وهذا الرجاء في انبلاج فجر جديد يتطلب منـــا — نحن الآباء — القناعة والصبر.صحيح اننا واقعون في مصاعب عديدة ، غير ان هذه المصاعب ستحل حتماً في المستقبل . نحن جائعون ولكن بعد ان نكون قد تقدمنا بقسطنا من اجل اسعاد الانسان.عندئذ تصبح السعادة الحق من نصيب ذلك الانسان المنتظر . نحن في ظلام غير ان الضياء يكاد ينبلج مع الفجر المطل على الانسانية وان كانت الآن في محنة عاتية .

بعقوبة - العراق
يوسف عبد المسيح ثروة

* علم الحياة (Science of Life) هـ. جـ. ويلز .



انعتاق

✳

فليكنْ

ولنفترقْ

كل الى منفاه يمضي ، ينطلقْ

ولنترك الذكرى وما نسجت على اهدابنا

وليحترقْ

ما ظل من اوهامنا

ولنختبىء

ولنعتصمْ منها وراء شبابنا

ولنختلسْ

نظرا الى الغد ، علّ فيما يدنو من ايامنا

شيئاً — لعلّ — يهزُّ ، يوقظُ ، عالماً

يغفو بشاطىء ذاتنا

فتقامرين

وانطلقْ

بغداد صفاء الحيدري

وانهارت الجدران

بقلم ثريا ملحس

°°°

لماذا جئت الى هنا ؟ كيف استطعت ان تشق تلك الظلمات العنيدة الى هذا السجن الرهيب ؟ دعني وشأني .

سأصرخ صراخاً عالياً حتى يصحو السجّان من شخيره البغيض عندئذ يحمل على رأسك بندقيته الوحشية وينهال على رأسك ضرباً ، اساعده بدوري على اخراجك وطردك . لا أريدك ، لا اريد ان انجو وفي خارج السجن واحد من امتي يخدعني ، ينافق على نفسه وعليّ ، ينكرني ثلاثاً .

امتي مسكينة انهكتها اوثانها الحقيرة .

اذهب من هنا ، اقول اذهب ، هذا هو سوطي ، هذي يدي تصفعك لتصحو من جمودك انك في خطر مرعب ، اخرج الى انوارك الكاذبة ، اذهب واطفىء جميع الانوار ، واجعل الليل ابدياً في امتي ، اجعل الليل ابدياً ، هل تفهم ؟

لماذا تحدق بي ؟ لماذا تسخر مني ؟ لماذا لا تتحرك ؟ هل انت صخرة ؟ هل انت الصديق الذي لازمني خارج السجن؟ اخرج.

اسمع فحيح الافاعي ، يجب ان نقتلها كلها ، نقطّعها ارباً ارباً ، ولكن الوقت لم يحن بعد ، ونحن دون سلاح . نعم دون سلاح ، اذهبوا سريعاً سريعاً ، اركضوا .

لماذا لا تتحركون ؟ اهز اكتافكم هزاً ، واجسادكم باردة ، باردة كصقيع الجليد . وانت اصفعك على وجهك حتى يجف الدم من عروقك . اذن انت ميت . انت ميت .

ماذا فعلت يدي ؟ ماذا فعلت ؟

انامل مشنجة ، كأنها المخالب الميتة اليابسة . ومـــاذا يقول عني السجان ؟ ماذا يقول ؟

ايراني مجرماً ؟ ايراني مجرماً لانني قتلت اصناماً لا حياة فيها ؟ وقتلت صديقاً انكرني ثلاثاً ؟

لماذا جئت الى هنا بعد ان انكرتني ؟

ماذا ارى ؟ ما هذا الشبح الذي يتلوى بصوت عميق كأنه جاء من اعماق اعمـــاق الدهور ، صوت ان قلتَ : له آلاف الاصداء ، قلت : بل له اصداء ابدية ، يخرج من ثغرة ثم ينمد ويتطاول ويغمر الاكوان ، بشكل طنين النحل وهديل الحمام وهدير البحر ، وخرير النهر وازيز المدافع وصرير القـــلم ، اشكال والوان من الالحان . بأنين امتي يتـلوى حنيني ، حنين الحرية .

كيف جئت الى هـذا السجن ، الى هذا الهول ؟ قتلتَ . قتلتَ . احمل على كتفيك هذا الانسان الذي لازمك مدى الدهور ثم انكرك بالامس .

وما هو الامس ؟ وما هو الغد ؟ وما هو حاضري ؟ في هذين العقربين الاسودين يدور البشر ، يَطحنون ، ويُطحنون هما صامتان ، وفي صمتها كل الخير وكل الشر ، كل السعد وكل النحس ، هذا عاش ميتاً وهذا عاش حياً .

وماذا بعد ؟

دموع امي تدي كأنها نهر المجرة ، تظن انها تنير لي ظلمتي ، ولا تدري انها تزيدني شقاء وآلاماً . دموع امي دموع الانانية لا تريدني ان احيا حياتي بل تريدني ان احيا حياتها . احيا على صقب منها لاني ابنها ، غذتني وانا طفل .

ترى لماذا لا تبكي امي على جميع ابناء الناس ؟ دموع امي لا احبها ،



لانها انانية ، لا تريدني ان احيا لنفسي بل تريدني ان احيا لها. لا تريد ان احيا لامتي ولا ان اجاهد في سبيلها ، لانها انانية .

اذن لماذا لا تبكي امي على ابناء غيرها ؟ وهل يهمني اخي ؟ ذلك الانسان الذي تبرأ مني لانني اردت ان احارب فيه كل عبودية ، احطم اصنامه المبعثرة في صالونه الفخم ، واعلمه ان الانسان لا يعرف بأصنامه المذهبة بل بروحه المتمردة .

وفي ذلك النهار الباكر خطر ببالي ان امشي مع اصدقائي الثلاثة . وكانت لنا ارقام نعرف بها . كان رقمي واحداً ، ثم نبدأ من واحد الى اربعة . نسير في فلاة واسعة . ظنناها واسعة رحبة . تركت اصدقائي اركض وحدي لاكتشف ما وراء الفلاة . ركضت ثم عدت الى اصدقائي والدماء تنفجر من جبيني .

ماذا حصل ؟ قل لنا ماذا حصل ؟ لماذا اسرعت مثل البرق وعدت الينا مثلما يفعل البرق والرعد ، غير ان المطر الاحمر مرعب مخيف يهددنا ، اننا متشائمون بهذا ، تكلم ماذا رأيت ؟ ما هذه الظاهرة ؟

وارتميت على الارض عياء وانا ساخط ، فرح متألم ، مبتسم باك .

وماذا حدث ؟ لا ادري غير انني ركضت ولم ار شيئاً في الطريق . لم اجد الا فراغات متماسكة ، متجمدة . هل رأيت الفراغ المتماسك المتجمد ؟ كيف يبدو ؟ هل رأيتم كيف يبدو؟ رأيت فراغات كأنها عيون تراقب حركاتنا عيون ، ترقد فيها اكفان الموت .

في يوم جلسنا معاً تحت شجرة السنديانة دفنا قلوبنا تحتها ، وكذلك ارواحنا ، وافكارنا ، وماذا حدث بعد .؟

ماذا قالت عنا السنديانة ؟

بعد ان كانت دوحة عظيمة ، عدنا اليها بالامس الثاني . في ليل تسللنا لنبارك انفسنا بأجذاعها . لان السنديانة قوية ، واوراقها شائكة . فوجئنا بالسنديانة تحتضر ، وقد تحولت الى قصب فارغ . ماتت السنديانة ،فحملنا قلوبنا وارواحنا وافكارنا ماتت حزناً على شبابنا . عبثاً حاولنا ان نطمئنها اننا شباب لن يتعب ،ولن يكل ، ولن يرعوي ، ولن يرضى ، ولن يقتنع ، ولن يخاف الموت ولا الرجم ولا الشنق .

اقلعوني ، خلصوني من فراغي ، من قصبي الاجوف ، لا اصلح لتراب بلادكم ولا تصلح لي بلادكم . خذوا القصب ، وبه احرقوا اليتم من بيوتكم والمسكنة من نفوسكم والخوف من قلوبكم .

وحملنا بيد واحدة ، وقلعناها ، ووقعنا هناك بأيماننا ان نتابع سيرنا . وهل تدري ما سيرنا ؟ ما مشيئتنا ؟ ما آمالنا ؟ هي بلادنا ، هي امتنا .

ومشينا نضمد جراح صديقنا نمسح اللون الاحمر عن شعره الاسود وحملنا راياتنا ، واخذنا خضرة السنديانة ، وعقدنا شرائط بيضاء لتكون لوننا في حياتنا .

وماذا حل بصديقي ؟ اين هو ؟ الم يكن هنا ؟ الم يقف في هذه الزاوية المظلمة القاتمة ؟ الم يكن قطعة من جليد ؟

عجيب . لماذا يتصبب العرق من جبيني ؟ الم انته بعد ؟ الم ينته اصدقائي الثلاثة ؟ يمشون واحداً واحداً .

وهذا الذي انكرني بالامس . قد ذهب بعد ان هزني هزاً وارقني ودفعني الى التمرد ، الى التمرد على الحياة حتى رفعت يدي لأقتله والتخلص منه فتتخلص منه الحياة .

هل قتلته يدي ؟ هل حقاً فعلت ما يجب ان يفعل هو؟هل له قوة فينتحر ؟ ترى هل جاء لانه ضعيف ذليل لا يقوى على الانتحار ؟ هل احس ضرورة الموت ؟

لولاه : لولاه لنجحت خطتنا .

الم اقل لاصدقائي اننا نبدأ من هنا ثم ننطلق من هناك ،ثم نحوم حول امتنا ، وبأيدينا نحطم الاصنام .

امتي وثنية ، صنعت لنا الاصنام ، ونحن نحطم اصنامها . الم نوقع العقد بقلوبنا وارواحنا وافكارنا .

وما هذه الحشرجة المنبعثة من النافذة بل من ذلك الثقب المتأرجح في الفضاء ؟ واسرعت لانظر من النافذة التي تشبه ثقب ابرة ، او ثقباً نقرته نملة !

صرخت في الفضاء ، ورجع صداي يحوم في السجن القاتم ، وسقطت على الارض منهوك القوى ، كليل البصر ، خائر العزم .

وبقوة ذرية نهضت مرة ثانية انفض عني كل الم وعدت الى ذلك اليوم عندما كنت امشي انا واصدقائي معاً نرسم خطة لنرتاح من اوثاننا ، من اصنامنا .

وكأن الشمس الآفلة قد بدت ضعيفة امام الصديق ، ذلك الصديق الذي انكرني ثلاثاً .

ان الشمس تخور آخر النهار ، تضعف . هي شعلة محترقة تؤج اجاً ، وانّى لنا القوة ونحن بشر ؟ . لا نستطيع ان نحمل ما اردناه . واندفعت بكل عزم اضع كفي على فمه حتى لا يترك وراءه اثراً في الهواء ، ولا يحدث الهواء عنا عندما يستطيع الانسان ان يلم منه اصوات البشر ويجمعها في آلات .

ولكنني بالامس ركضت وحدي وعدت وعلى جبيني دماء . ان الاوثان والاصنام واهية ، تؤذي اولاً ثم تنهار آخراً ، امام عظمة الانسان وايمانه وقوته .

قيل عندما يدق الجرس ثلاثاً ، نهوي معاً على الاصنام ، ولكن صديقنا قد خدعنا ولم يدق الجرس . وهكذا ظللنا دهوراً ننتظر ، وننتظر ، حتى بدا لنا الصديق شبحاً خائراً ضعيفاً جعدته الايام ، وبيضت رأسه الاهوال ، وذهبت بعينيه وتركته رزمة من عظام !

اما نحن فلا نزال شباباً ، شباباً ، وقف كل واحد منا امام صنم ينتظر ، وفوجئنا برؤوس مثل رؤوس الثعابين تهوي علينا قتل صديقاي وحملت الى هذا السجن .

ابعدوا عني الشمس ، لأن الشمس علمتني الحياة ، ابعدوا عني القلم لأن القلم علمني الحرية . ابعدوا عني النوم لأن النوم يحقق لي الاحلام . وهل انسى الحياة إن لم أرَ الشمس ؟

وهل انسى الحرية ان لم احمل قلماً ؟

وهل تقف احلامي ان ابعدوا عني النوم ؟ وازدادت ثورتي وازداد تمردي ، وانطلق لساني ينشد الاناشيد التي كانت تنتقل بسرعة البرق الى ارجاء السجن .

لم يتعب لساني ولم تجف اناشيدي .

اما الضفادع فعلا نقيقها ، وطاول نقيقها اناشيدي . اما صوتي فكان يرج رجاً في حنيات السجن . كل يوم اسمع نقرة على نافذتي الصغيرة ، وكثيراً ما ارى خيطاً مسحوباً من قميص مطرزاً على خرقة بالية بأحرف من اناشيدي .

متى ننجو ؟ متى نحطم الجدران ؟ متى نسير معاً في صف واحد ؟ متى ترتفع امتنا فوق السجون ؟

وتطفر من عيني دمعتان ، دمعة التمرد ، ودمعة الحرية : متى ؟ متى ؟

واعود الى اناشيدي اجيب عن ولاء المساجين وبعد اجيال اسرعت الى جدران السجن ، فوجدتها واهية .

ترى هل احست اناشيدي ؟ هل حركت اناشيدي الصخور والحجارة الضخمة ؟

كان « اورفيوس » يرعاني ، وكنت ارعاه . كنا معاً . هو يعزف على القيثار ، وانا انشد اناشيدي .

وانشدت الاناشيد وناديت الى الخروج الى التمرد على الطغيان ، وانهارت الجدران فاذا بالمساجين ينطلقون بحلل حمراء وسوداء وفي ايديهم اغصان من اغصان السنديانة التي قالت بالأمس : اقتلوا الفراغ تنجوا .

ثريا ملحس

حريق الكبرياء

محمد فوزي العنتيل
من رابطة النهر الخالد

القاهرة

سيجف هذا الحب في ريعانه متخضباً بعطوره وحنانه
لا .. لن أعيش به حريقاً جائعاً متوشحاً بلهيبه ودخانه
أنا لن أعيش مصفداً بضرامه لهباً يمور به هوى سجّانه
لا لن تقيدني هياكل مجده حتى يجف دمي على جدرانه
فلأهدمنّ صروحه ولينحطم تمثـــاله الوهميّ في إيوانه

لا لن أعيش لصبحه ومسائه وأشدّ أزماني الى أزمانه
أنا لن أموت على صليب عذابه متمدّد الآلام في قضبانه

لا لن أعانق ظلمتي متحدّراً كالليل منطفئاً على أحزانه
سيجف من روحي عبير زهوره وتموت في عيني رؤى ألوانه
لا لن أذوّب كرمتي في جامه وأريق أيامي على ألحانه
أنا لن افجر نبعه في خاطري وأسيل منحدراً الى وديانه
كالنهر مسحوراً بناي خريره متدفقاً يحبو على شطآنه
لا لن تقبلني شفاه حنينه فأعيش ظمآناً الى تحنـــانه
أنا لن اعيش على ذراه راهباً متفرداً أقتات من أشجانه
سيجف هذا الحب في ريعانه متخضبـــاً بدموعه وحنانه
ولسوف أمضي كالعواصف محرقاً أشجاره وألجّ في نسيانه

فلتذهبي ولتبق لي حريتي ، حريتي الكبرى بغير قيود
فلقد نذرتُ لها الشباب نذرته لصفائها وجمالها المعبود
فلتمض أجنحتي الطليقة حرةً فوق البحار الى غدي الموعود

ولتنتفض روحي على آفاقها من أسر هذا العالم المحدود
حتى تعانق مجدها في قمة وردية من فجرهـــا المنشود
فهناك أرتجل الحياة ترنماً ويموج صوت الله في تغريدي
وأذوب في اقنومها متغلغلاً في نورها متسربلاً بنشيدي

أنا لن أعود لأرتمي في قيدك الارضي قيد جمالك المشدود
فلي البحار مفاتناً ذهبية ولي السماء منـــارة لخلودي
فلتذهبي عني فلن أجثو على عتبات مذبح عمري الموؤود :
لأصير قرباناً ذليلاً للهوى الدامي واحرق في المجامر عودي
وأذوب في نار الشذا ترنيمة حبلى بأسرار اللظى المكدود

لا لن أعيش به خريفاً شاحباً تشدو بلابله بغير نشيد
لا لن يمزق فيّ إنسانيتي ويسوقني في موكب مصفود
فلتحترق أغصانه بعذابها فلسوف تذروها رياح وجودي
لتعود ذكرى ثورة مجنونة من كبرياء عواصفي ورعودي
ذكرى غرام جائع متمرداً أكل اللهيبُ به حطامَ قيودي

فن القصة

بقلم سعد جمعة

ooo

سأل احد الناشرين * الأميركيين القاص الانجليزي الأشهر « سمرست موم » ان يختار أفضل عشر قصص عالمية ويقدم لها ويعلق عليها، ويختصر منها الصفحات التي ليس فيها كبير غناء، تهيئة لاصدارها في طبعة منقحة ، فقام بالمهمة ، ونشر مقدماته وتعليقاته تفاريق في اعداد متسلسلة من مجلة اميركية شهرية ثم جمعها في كتاب بعنوان « القاصون العظماء واعمالهم » هذا هو امامي وانا اكتب هذا الحديث .

وقد اعجبت بمقدمته اي اعجاب وترسبت منها في ذهني معالم احب ان الخصها في هذه العجالة آملا ان تتاح لي الفرصة من وراء هذا المذياع لأتبعها بدراسات وافية لرأي « سمرست موم » في بعض القصص التي اختارها وفي فن مبدعها .

وقبل ان امضي ، اذكر ان بعض القصص التي اختارها الكاتب ، معروفة بشهرتها العالمية بين المستنيرين منا، مما يضفي على الموضوع طرافة ، كالحرب والسلم لتولستوي ، والاخوة كرامازوف لدستويفسكي ، ومدام بوفاري لفلوبير ، ومرتفعات وذرنج لاملي برونتي ، ودافيد كوبرفيلد لدكنز ، والاب جوريو لبلزاك ، وقد كنت سعدت بقرائتها في صدر الشباب وما يزال لها في قلبي نوطة وفي نفسي علوق ... فأكتب فيها حين اكتب بانجذاب واع وفي ثقة تشبه اليقين .

يقول «سمرست موم» وهو يقدم لمختاراته : ان من الصعوبة بل من العبث محاولة اختيار قصص عشر والادعاء بانها افضل القصص اطلاقاً . . ان مجال الاختيار رحب فسيح بحيث تكون متجنياً متعسفاً لو اقتصرت على عشر في حين انك تستطيع انتقاء مئة او اكثر دون تحيّف .

* حديث اذيع من محطة الاذاعة الاردنية .

وهناك اعتبارات اخرى تدعو الى اختلاف الرأي كثقافة المتخير وجنسيته والظروف النفسية والاجتماعية التي يحياها والتي تجعله في برهة زمنية معينة خاضعاً لايحاء قصة معينة .

لكن السبب الاهم للاختلاف ناجم عن حقيقة ذات طابع عام هي ان القصة الطويلة عمل فني لا يمكن ان يسلم من النقص . وتستطيع ان تقول دون مجازفة ان ليست هناك قصة بلغت حد الكمال ... وغير بدع منها القصص العشر المختارة . والرغبة في التدليل على مغامزها ومواطن الضعف فيها هي التي حفزتني الى التقديم لها وتحليلها ليتناولها القارىء حين يتناول عن بينة ، فلا يصدم حين يقع على حوادث مفتعلة او نماذج ملتاثة او تصوير جامح، اذ ان غرض القصة الاول ان تكون ممتعة شائقة لاذة ، ولا جدوى لها قط اذا لم تستطع ان تمنحنا تلك اللذة وذلك المتاع .

وعلى ذلك يمكن القول ان كل قارىء هو الناقد الاول لنفسه الذي يعتد بذوقه اذ يعرف قبل غيره ما يلذه ويستهويه وللقاص على قارئه حقوق فهو يتطلب الجلد وحسن الاستجابة والقدرة على الاستيعاب والاستغراق والتأمل ، وسرعة اهتزاز العاطفة الشعرية ليستطيع الاحساس بآلام النماذج ومباهجها ، ويشركها في افراحها واتراحها وتطوحها مع مصادفات الزمن المواتي والدهر الخؤون .

اما مقومات القصة الجيدة في رأي «سمرست موم» فهي اولاً ان تكون ذات موضوع لاذ عامر بالمشاعر الانسانية ، ليجذب كافة الطبقات على السواء ولا خير في قصة تكتب لطبقة خاصة .

وثانياً ، يجب ان تكون القصة متناغمة مترابطة مقنعة يتحقق فيها شرط الامكان وان لم يتحقق شرط الحدوث ، وان يكون لها بداية تتطور الى احداث تتأدى الى نهاية متسقة مع منطق البداية ، اي ان تكون النهاية نتيجة طبيعية للمقدمات .

وثالثاً ، يجب ان يكون السرد اليفاً غير مبتسر متلائماً مع الموضوع منتظماً في سياقه المنبثق انبثاقاً عفوياً من مجرى الحوادث .

ورابعاً ، يجب ان تكون النماذج محددة المعالم محوكة من طراز فريد متميزة بشخصياتها وان تكون تصرفاتها متساوقة مع خلائقها .

وانا اعترف هنا ان ابداع نماذج جديدة امر بالغ الصعوبة ، اذ ان الاسلاف لم يتركوا زيادة لمستزيد . وتوفيق القاص منوط بما يضفيه على شخوصه من عطره الذاتي ، فاذا كان ذا ذات متميزة امكنه ان يمنح شخوصه الجدة والاصالة .

وكما يجب ان تصدر الافعال بصورة تلقائية دون تكلف ، يجب ان يكون الحوار متناغم السرد غير مقحم كفرصة يدلي فيها المؤلف بآرائه الخاصة .

وخامساً ، يجب ان يكون الاسلوب بسيطاً واضحاً مفصلاً تفصيلاً دقيقاً على الموضوع بحيث يستطيع عادي الثقافـة ان يتملاه بسهولة وارتياح وان يكون لمجرى الحوادث في القصة حيوية متجددة وحركة دائبة ووضوح مقنع تساعد كلها على ايجاد الجو المناسب لتفاعل النماذج مع بعضها من جهة ومع الظروف المحيطة بها من جهة اخرى .

واخيراً لا آخراً يجب ان يكون هدف القصة الامتاع لا التعليم والتثقيف .

وتوفر جميع هذه المقومات في اية قصة مطلب عسير ، وهي حتى لو توفرت فلست تعدم ان تقع على بعض الشيات كالعرق في الحجر النفيس مما يجعل الكمال شيئاً بعيد المنال .

ومؤلف القصة انسان قبل كل شيء له افكاره الذاتية وامانيه الشخصية واهتماماته الخاصة ، واتساع مجال القصة يتيح له الافضاء بتلك الافكار والاهتمامات وغالباً ما يحدث ذلك دون وعي منه .

ومن الطبيعي بالاضافة الى ذلك ان يخضع القاص لطراز عصره من ناحية التفكير والصياغة والعرض .. وقد يضمن قصته بعض الصور الوصفية التي تفقد روعتها بمضي الزمن . فقد كان القصاصون في القرن التاسع عشر ، مثلاً ، لا يهتمون اهتماماً واضحاً بوصف المناظر ، لكن ذلك اصبح مطلباً نفسياً فيما بعد بسبب تفوق المدرسة الرومانتيكية ، غير ان القصة الحديثة فيما يبدو لا تنجذب الى ذلك اذ يرى النقاد المعاصرون ان الاسهاب في تصوير المناظر يغدو عبثاً مسئماً اذا لم تدع اليه الضرورة بحيث يساعد المؤلف على السرد والانسياب ويساعد القارىء عـلى المشاركة والاستيعاب .

وبما ان القصة عمل فني ضخم يستغرق وقتاً طويلاً لانجازه قد يمتد الى اشهر بل سنين ، فمن المتعذر بقاء المؤلف في حالة ذهنية ونفسية واحدة خاضعة لالهام مستمر . او ان شئت الدقة قلت خاضعة لمعطيات اللاوعي .. اذ كثيراً ما تنهال عليه المعاني والصور من حيث لا يدري ، ويكفي ان يضع القلم على الورق ليجري بما لم يكن له في حسبان .. ويمكن تفسير هذا بأنه حدس غير واع هو صدى لتجارب الماضي البعيد التي اختزنها الكاتب في مخيلته الباطنة ، ووجدت البرهة المناسبة لخروجها بترابطها مع حوادث القصة . غير ان هذا الحدس شيء عفوي لا دخل للارادة فيه ، هو كالريح التي تهب متى تشاء وكالمطر الذي ينهمر على كل من هب ودب .

وقد يجد الكاتب المحترف وسائل عدة لاستثارة ذلك الحدس لكنه قد يشمس احياناً فلا يتأتى باسماح ، وهنا قد يعمد الكاتب الى الصنعة لاجئاً الى مخيلته الواعية ، ويكون الامر معجزاً حقاً لو استطاع الفنان بمثل تلك الوسائل المفتعلة ان يحتفظ بتيقظ القارىء وانجذابه .

وتطور الفن القصصي اقتضى استهداف التجويد بالبصر الوئيد ومضي الزمن الذي كان فيه الناشرون واصحاب المجلات الادبية يستعجلون انتاج صفحات معـــدودة في زمن مقدور فيضطر الكتاب مدفوعين بحاجتهم المادية الى ملء عدد الصفحات المطلوبة بالاسهاب على غير وجه معقول .. ففي فرنسا مثلاً كان القاص يتقاضى اجوره على عدد الاسطر التي يكتبها ، لا على روعة ما يكتب وسحره ، حتى « بلزاك » العظيم لم ينج من هذه المغريات فقد زار ايطاليا مرة وتأثر ، كما ينبغي لمثله ، بآثارها الفنية العظيمة وعمد تحت الحاح ناشريه الى اقحام عدد من الصفحات في اطار احدى قصصه هي ليست اكثر من مقالة للتعريف بتلك الفنون ولا علاقة لها قط بجو القصة واحداثها .

والقارىء اليوم لم يعد يحتمل السأم والملال فالسرعة هي طابع العصر وهو يقرأ ليخرج من حدود نفسه ، باستغراقه في حوادث القصة واندماجه في جو ابطالهــا بحيث يعيش معهم حيواتهم ويتأثر بايحاء تصرفاتهم . وبهذه النية عمد « سمرست موم » الى تنقيح تلك القصص العشر التي اختارها بحذف فضولها وتقديمها في اطار مركز جديد .

عمان سعد جمعة

القنديل على الارض

لبابلو نرودا — مطلع ملحمة « الاغنية الكونية » للشاعر الشيلي نرودا — ترجمة محمد عيتاني

*

قبل المطارف والشعور المستعارة
كانت هنا الانهار ذات الروافد العُروق
وسلاسل الجبال في فيض مياهها الجارفة
يبدو الكُندُور ساكناً والثلج
والرطوبة كانت ، والرعود ، والادغال .
وقبل ان يكون اسمها كانت السهوب الرحاب ..

وكان الانسان : تراباً ، واناء ، وجفنا
ونُحلاً راعشاً حياً وشكلاً من اشكال الصلصال
كان ابريقاً « قريّبياً » وحجراً شِبشيّاً
كأس اباطرة كان او صوّاناً أروكانِياً
حنوناً أم خضيباً بالدماء
واماً على مقبض سلاحه البلوري الرطب
فكانت الحروف الاولى من اسم الارض مكتوبة
ومن بعد ، لا يذكر احد شيئاً : نسيتهم
الريح ، ودفنت تمتمات المياه
في جوف التراب ، وضاعت المفاتيح
بل طغى عليها الصمت والدم .
والحياة لم تتلاش ايها الاخوة الرعاة ؛
ولكن مثل وردة بريّة
قطرة دم سقطت في الاجمة
وانطفأ مصباح من الخزف .

انا هنا لأروي التاريخ
منذ العهد المجلّل بصمت الجاموس
الى ارض الحدود النهائية
هناك حيث تنهال الريح سياطاً على الرمال

والزبد المتراكم
في اضواء قطب الجنوب .

انطلقت يا أبي ابحث عنك
عبر العرائن السامقة
المسلّطة على الاودية
السابحة في صمت فنزويلا ..
صمتها الغارق في الظلال
ابحث عنك يا ابي
ايها المحارب الفتيّ
الذي صيغ من نحاس وعتمات ..
بل كنت ابحث عنكِ
انتِ يا خطوة عروس ، ويا شعراً نافراً لا يُذَل
ايتها الام التمساح يا يمامة المعدن !..
وانا سليل الأنكا
في الاعماق اتلمس الحجر واقول : من
ينتظرني ؟ واشد يدي على قبضة من البلور المرنّ
وكنت امضي بين الازهار المندية الحمر
والضوء حلو يمرح كالوعل
والظل كأنه مقلة خضراء

ايتها الارض التي كانت لي ، بلا اسم ، بلا اميركا
يا سداة تحملها الرياح الاستوائية
يا رمحاً من أرجوان .
عبيرك يتسلق جسدي من الجذور
حتى الكأس التي اشربها ، وحتى
احلى نغمة لم ترددها ، بعد ، شفتاي

في منطقة البقاع اعظم آثارنا الباقية ، على وفرة ما تعج به بلادنا من آثار المدنيات والحضارات . ويكفي ان تقوم هنالك « هيا كل الشمس » بأعمدتها التي توحي اليك بصمتها المخيف سر عظمة الانسان. ولكن « الدولة » ، منذ عشرات السنين ، لم تستطع ان تعنى بهذه المنطقة... وبالعاصمة في وقت واحد. لذلك عاش الناس ويعيشون في هذه البقعة من ارضنا الجميلة الخصبة كما عاش اجدادهم الاولون.

وقد اتيح لسليم سلوم ان يزور تلك المجاهل في السنة ١٩٣٥ يوم استيقظت في نفسه ، الغريزة التي تحمل الشاب على التعرف الى بلاد يحبها ، ويناضل مع المجاهدين في سبيل تحريرها .

حينئذ كانت وسائط المواصلات محصورة بالقطار الذي يتسلق سفوح جبالنا الغربية ببطء السلحفاة، لينحدر عن سفوحها الشرقية اشد بطئاً ، وبعدد محدود من السيارات القديمة التي تنفجر دواليبها في الطريق اكثر من مرة، اذا لم تتعطل آلاتها مرة بعد مرة! فلم يكن لسليم سلوم ان يختار فسافر في القطار .

وفي اقل من ثماني ساعات وصل الشاب الى مدينة الشمس ، يحمل فوق كتفيه متاعب عامل يجهد ليله ونهاره ، طوال تسعة اشهر ، وفي منخاريه رواسب الدخان الذي تقذف به القاطرة اشد سواداً كلما اشتد بطؤها ، وتفاقم عجزها .

ترى أكانت ذكرياته التاريخية ، وما بعثته الاساطير في نفسه من احلام ، هي الباعث الذي حفزه الى الاستجمام في مدينة الشمس ؟ ام هي الرغبة في الهرب من العاصمة ، وما تزينه مغرياتها لشاب مثله ؟ ام هي احلام المراهقين يتقمصون ابطال الاساطير ؟

لم يستطع سليم سلوم ان يجيب نفسه عن هذه الاسئلة، حتى حينما وقف في وسط الهيا كل... « يرى » الراقصات العاريات، يستحممن في الاحواض المرمرية على انغام حالمة ، او ينتشرن تحت الابهاء في شبه الظلمة كالازاهير في ظل سنديانة معمرة ، أو يتلوين في ضوء القمر فوق المدرجات كأنهن نقاط اللحن ، فوق سلم الموسيقى !

ولكن هاجساً ظل يتعالى من داخله ، يسأله ويلحف في السؤال : لماذا آثرت الاستجمام هنا... وليس هناك ، في المدن المطلة على العاصمة والبحر كأنها شرفات لمنزل جبار بناه واحد من الابطال الذين استعاروا زنودهم من عمال بلادي، واحلامهم من وعيها العريق.

ويخيل لسليم ان شخصية ثانية تنسلخ من ذاته فتجيب ساخرة:

– انت هنا ، لأنك هارب منها ، من تلك التي احبتك لتستعبدك ، وتجعلك مطية لاغراضها ، ولكن من انبأك انها لن تهتدي الى... عزلتك في هذه المجاهل فتتبعك، وتتابع خطتها الرامية الى تكبيلك بقيود ، استطعت ان تتجنبها حتى الآن :

الم تعرب لك صراحة عن ذلك الهدف اذ قالت ذات يوم: الآن تصيدناك ! وماذا تعني امرأة مثلها بمثل هذه الكلمات، اذا خاطبت بها شاباً عازباً ، تترامى هي على اقدامه ؟ اما كيف تصيدتك، فلا شأن لي به، لانني لا اتدخل في خصوصياتك! انني « ذاتك الداخلية » ... وانا واثقة من طهارة.. وجدانك ؟

حينئذ تنبري الذات الثانية، فتجيب بحنق: وهل تعتقد انت ان مثلي يشترى ببضع ليرات ذهبية، وعدد من السندات العقارية؟ انني لا ابيع نفسي من احد... ولو كان امرأة تعبدني جسماً وروحاً ! انني ولدت حراً ، وساظل حراً !

بقلم رشاد دارغوث

*

وتنتهي زيارة سليم سلوم لهيا كل الشمس ، فلا يرى من معالمها الجبارة الا ما تراءى له من خلال ماضيه القريب الذي حاول ان يتخلى عنه ، منذ وضع رجله في القطار ، فما زادت هذه الرغبة الاعتباطية ذلك الظل الا وضوحاً في خطوطه ، وتشبثاً في تعلقه باذيال صاحبه . فهو يفهم الآن ، كما لم يفهم من قبل ، معنى قولها له ، وهي تودعه في المحطة :

–... لن تعطيك اية عذراء خيراً مما بوسعي ان اعطيك !

وهو يتذوق الان اكثر مما مضى احاديثها المنغومة ، وما تودعها من شغف به ، وبنقائصه على الاخص. ترى أكان للحرمان الذي بات يشاطر سليم اهل المنطقة تجرعه، ولهذه الوجوه العابسة التي يلقاها حيثما سار، اثر في تناسيه عيوب تلك المرأة المتهالكة



على الزواج منه ، وتلطيف الجو الذي كان يثقله حضورها. فلما بعد ما بينها وشط المزار ، ولطف الزمن من حدة نفور الرجل من الانثى التي تتبعه ، تسامت عاطفتها في نفسه ، وارتفعت منزلتها الى مستواه ، فشعر برغم فوارق العمر والمستوى الاجتماعي ، بشيء من الكفاءة تقرب ما بينهما ؟

اليست «ليلى العراقية» حفيدة ذلك القائد العسكري الذي رد الاعداء الى ما وراء الحدود ، وتلك المرأة الشركسية التي كانت اجمل مكافأة له على ذلك النصر الحاسم ؟

في اليوم الثالث شعر سليم سلوم بباعث اقوى من كل ارادة وعزم وتصميم ، يحمله على العودة الى العاصمة ! بل تمنى لو تبيح له التقاليد ان يغادر الفندق فوراً ، وهو بثياب النوم ، الى دائرة البرق ، فيبلغ ليلى ، موافقته على مقترحاتها ، ورضوخه لمطالبها :

– اتزوجك ، حالاً ، ولكن شرط ان تتخلي عن ابنك... لأهل ابيه ! ويتعالى في اذنيه جوابها ابح ، تخنقه عبرة مفجوعة :

– ابني ! انه روحي التي بها احيا ولها اعيش !

– اذن انت «تصيدتني» لاكون خادماً لابنك وعبداً لذاتك !

– بل « اباً » لوحيدي وسيداً لبيتي ؟

– وكيف احب ولداً ليس مني ... واسود في بيت انت تنفقين عليه ؟

– المحبة ، ان تحب من كان كذلك ! لا من كان منك ! والا انقلبت الى انانية ، الى عبادة ذات ! ومالي اقدمه اليك ، فتنفق انت منه ما تشاء دون رقيب او حسيب !

وتغري المرأة المجربة هذا الشاب الناشيء : جمال ومال ، فيتخلص من كابوسين عاش في كنفها : الحرمان والفقر ! ولكن لا ! انها ستستعبدني بكابوسين اثقل واشد تنكيلا ! هذا «الانطلاق» الذي ما رأى امه عليه ، ولا يستسيغه من امرأة ، وهذا البذخ الذي يرى دلائله على هذه المرأة ! فكيف يعيدها الى « قفص » التقاليد ، واللياقات ، وحدود الحشمة ؟ وكيف يكبح جماح اسرافها على نفسها ، في الملبس والمأكل .. متى نفد مالها ؟ انه فقير وهو يعمل بأجر لا يحسد عليه . ولكن اتضاعه كنز ، وهو يؤمن بهذه الحكمة ، بهذا المعنى ، وان كانت مطامحه لا تقف عند حد ، واطماعه لا تحدها تخوم !

ويهبط سليم سلوم درج الفندق الى الفناء الذي يقوم فيه مقهى خير ما يقدمه القهوة التركية ، وان كان يؤثر البن الاشقر على البن الاسود المحروق . ففي القهوة المصنوعة من ذاك حموضة ، يجدها اطيب من مرارة البن الاسود . ولعلها تلائم نزعة في نفسه الى التمرد ، تمرد الناشئين على اوضاع الاسرة والمجتمع .

فيجلس فترة بين الناس ، الذين يتوافدون منذ الساعات الاولى الى مقهى الفندق ، لانه «النادي» الوحيد في مدينة الشمس ! وهو قريب من رأس العين ، المتنزه العام الذي لا تقل مياهه المتدفقة روعة عن هياكلها العظيمة ، فتلك من صنع الطبيعة وهذه من صنع الانسان !

وكانت الجرعة الاخيرة من القهوة بمثابة نقطة الختام ، وضعها سليم سلوم لتردده : أيعود الى العاصمة ، فيرتمي باحضان تلك المرأة التي ينفره منها انوثة تسترجل بالمال والجاه الزائف ، ويقربه اليها حاجات لا يعددها ولكنه يتحسسها ، صارخة في اعصابه وفي جيوبه ! وماذا ينتظر واحد مثله خيراً من هذا النصيب ؟ وكيف السبيل الى التخلص من موجبات المهور ونفقات الاعراس والهدايا ، للعروس ومن لاذ بها ، ولاهله ولمن يضمه بيتهم ، بغير هذه الوسيلة ؟

ويشعر الشاب ان تردده يكاد يحتضر ، بل انه احتضر ومات في قعر هذا الفنجان ، المغمور بحثالة سوداء تتراقص بين ذراتها اماني المنجمين واحلام المعتوهين الذين يركنون اليهم . فقد ابصر في الفنجان وجه تلك المرأة المولعة بالتنجيم ، يكاد يطغى ببياضه التافه على سمرة البن الحامزة ، وهي تقهقه كأنها تسخر ، او تضحك كأنها تتهكم ! ففي نظراتها اعلان لما تخفيه كلماتها . وكيف يبيع شاب تحرر من الجهل ، وسار على دروب الحياة فنجح بوسائله الخاصة ، كيف يبيع نفسه من انسان آخر – رجلاً كان او امرأة – كي يعود به الى ظلمات الجهل ، وعبودية الشهوات ؟

فيقول سليم سلوم وكأنه يخاطب ليلى ، وهو يحس لكلماته وقع السياط على الوجه :

– لا ! لن اتزوجك .. ولو صغت نفسك من الذهب ! فانت تجهلين حتى حقيقة دوافعك الى حبي .. وتتجاهلين ان الزواج شراكة لا تتم الا بالتفاهم والانسجام !

ويقطع زعيق صفارة القطار القادم من العاصمة ، حبل الفكر عنده . فيتجه بانظاره صوب المحطة . ولكنه لا يميز بين القادمين في ظل الحور المتراقص ، وجه امرأة نزلت من القطار ، مع الخمسة المسافرين الاخرين لتبحث باصرار .. عن حملها الضائع !!

رشاد دارغوث

يا ابنة البحر

الى السمراء س . التي
تحب البحر

لنقولا فرباده

يا ابنةَ البحرِ ويا شوقَ العبابِ
املئي الموجَ بأعراس الشباب
وامرحي فوق الخليجِ
بشراعٍ عبقريّ
وبصدرٍ من نسيج
النورِ واللونِ النديّ
فيُرى في الموج وجدٌ وتصابي
وتُرى النارُ على ثغر الغياب

*

لوّني الصدرَ بأوهام الدُّوارِ
بأغاني اليمّ في جُونٍ نُضار
أنتِ إغواءُ إله
ليلكيٌّ كالشفاه
تزرعين النجمة الكبرى
على كوّةِ آه
ولأنتِ الحسنُ في مركبِ غارِ
ورجاءٌ مقلعٌ خلف الصواري

*

لشفاه البحرِ أجساد البناتِ
ومجاذيفُ الصبايا الغانيات
للشواطي تتعرّى
وبها للشمس مسرى
وعليها ألف ثغر
ذُوّبتْ عطراً وسحراً
كلّ ثغرٍ هو أغنى من صلاةِ
عالمٌ عاش بأكواب السقاة

*

فاسكني البحر وظلّي كالنداءِ
في مداهُ ، وتغذّي بالضياء
واعبري في كل قاع
غادةٌ خلف الشراع
لكِ مجذافٌ سنيّ
من عقيقيّ الشعاعِ
يسكب الروعة في درب المساءِ
وعلى الرمل المدمّى بالسماء

صَخَبُ الموج بهِ قصّة تيهِ
للحواريّ اللواتي ضعن فيه
عن شراعٍ شقّ قلبَهْ
أمست الخلجان دربه
فاذكري لليمّ عنه
حين يعتو أن يحبّه
واقصدي الصخر عليه واسأليه
أترى أيُّ حبيب كان فيه

*

أنا ربّ البحر يا بنت القلوعِ
من شفاهي موجه أو من ضلوعي
أنا من كوّن دُرّهْ
ورمى فيه المجرّهْ
ودعا البحّارَ أن
يقضيَ في الأغوار عُمره
ولعت نفسي به أيّ ولوعِ
مبحرٌ فيه ، فلا أدري رجوعي

*

فارقبي في الموج إرساءَ المغيبِ
واسأليه أينَ يا موج حبيبي
شاعرٌ خدْنُ السماحِ
هائمٌ مثل وشاح
ساحر المقلة والثغر
رقيقٌ كالصباح
أترى يرجع في زورق طيبِ
ينشر الحُبّ على الرمل الخضيب

*

يا ابنة البحر ويا شوق العبابِ
أنت دنيا من أهازيج الشباب
ذهّب اللجُّ يديك
هازجاً في مقلتيك
ومضى بين مجاذيف
الضيا يحنو عليك
كلُّ ما فيه اشتهاءٌ وتصابي
يجعل الشاطىء كالحُلم المذاب

وظيفة الادب

بقلم عادل سلامة
ليسانس امتياز في الادب الانجليزي من جامعة القاهرة

°°

تضاربت الآراء في هذه الايام حول الادب، وقيمته بالنسبة للحياة – وتضارب الآراء هنا لا يعني خلافاً في وجهات النظر، لأن مدلولات الكلمات عندنا لم تحدد بعد – وانما يعني اختلافاً حول تحديد معاني هذه الكلمات. فمن قائل بأن الادب هو ذلك الانشاء الكتابي الذي يقصد به الى اصلاح مجتمع من المجتمعات، والناس يختلفون بعد ذلك في ماهية هذا الانشاء، اهو انشاء حر مطلق من قيود الفكر والاحساس؟ ام هو انشاء مرتبط بقواعد معينة سنتها له الاجيال المتعاقبة، ومن ثم فهو يشارك بدوره في تشكيل ما يليه من اجيال؟ – ثم يختلف الناس بعد ذلك في امر الحياة نفسها ويتعللون لذلك بشتى العلل. فالحياة عند بعض من يطغى عليهم التفكير المجرد شيء اثيري لا يمكن لمسه، يتمثل في القوى الطبيعية المسيطرة على الكون والمسيرة للامور، او في فلسفة خاصة يؤمنون بها، يظنون انها الحقيقة ومن ثم فهي الحياة بذاتها.. ومن الناس من يقصر معنى الحياة على جماعة الاحياء الذين يضطربون في الارض، يصور ما بينهم من علاقات وما يقع بينهم من خلاف تتولد عنه عقيدة سائدة يؤمن بها بعضهم ولا يؤمن البعض الآخر. وهذه العقيدة او هذا المبدأ قد يصيبه شيء من التعميم او لا يصيبه وهو مع ذلك في رأي الاديب الحياة بذاتها.

وقد يرى بعض الناس ان الحياة هي مجتمع بعينه من المجتمعات محدود بحدود زمانية ومكانية، فاذا كتب كاتب فانما هو يصدر عما يحيط به من اشياء تلاصقه تمام الملاصقة لا يتعداها الى غيرها وهو مقيد في ذلك بأحساسه المباشر وتفكيره المحدود.

وهناك اتجاه آخر يتمثل الحياة في الفرد، وفي الصراع الداخلي بين عاطفة واخرى، وهو قد يربط هذا الصراع بما يحوطه من اشياء وحوادث في الخارج، ولكنه يركز الاهتمام في كنه هذا الصراع ويعتبر الخارج انطباعات وتصورات تخالج الفرد في داخل نفسه.

اختلف الناس اذن حول الادب، ثم اختلف الناس حول الحياة فكان من الطبيعي ان يختلف الناس حول صلة الادب بالحياة.

والواقع الذي لا شك فيه ان اختلاف الناس حول صلة الادب بالحياة كان اشد احتداماً، واوقع اثراً من اختلافهم حول اي شيء آخر. وليست هذه بالمشكلة الحديثة، ولكنها قديمة قدم النقد الادبي. بل اكثر من ذلك انها المشكلة الوحيدة التي تكون موضوع النقد الادبي في كل عصوره المختلفة. فارسطو حين بنى نظريته عن المحاكاة انما كان منبعثاً عن احساس عميق بها. وايمانه بهذه النظرية فيما نعتقد مستمد من البيئة المحيطة، ومن التراث الادبي الذي كان حتى ذلك يفتقد كثيراً من العناصر التي طرأت على الادب فيما بعد. ومعالجة ارسطو للمشكلة يلقي بعض الضوء على التصور الحديث لها. فهو يعتقد ان الادب تقليد او محاكاة للحياة. والحياة عنده هو سلوك الانسان من خير او شر. وتختلف طرائق التعبير باختلاف الموضوع، فاما المأساة فمهمتها ان تصور الرجال اروع مما هم عليه في الحقيقة، واما الملهاة فهي تعرض الرجال في صورة ابشع مما هم عليه في حقيقة امرهم. ثم ان المأساة تختار الرجال الذين تصورهم من بين الامراء وذوي العصمة والابطال، واما الملهاة فهي تقتصر على السوقة ومن هم في حكمهم من طبقات المجتمع. كذلك وجدنا الاختلاف بين الملحمة والقصيدة الخمرية (الديثيرامب) بين هومر وكليوفون ونيكوخاريس. فنظرة ارسطو الى طبيعة

العلاقة بين الادب والحياة اخلاقية قبل كل شيء تعتمد في اساسها على التمييز بين الخيّر والشرير . ثم هي تفترض في الروائي او الشاعر ان يضيف الى الخيّر خيراً والى الشرير شراً من صنعه وهذه العملية هي التي يسميها ارسطو بعملية الخلق او الابداع اضف الى ذلك تصنيفه لطرق التعبير في الادب بحسب مايتفق مع الموضوع وبحسب ما يتفق مع المستويات المختلفة في المجتمع اليوناني في عصر ارسطو . فقد كان ارسطو اذن في نظرنا وفي نظر كثير من النقاد محدوداً في نظرته الى الحياة بحدود خاصة هي حدود مجتمع واحد له طريقته الخاصة في المعيشة . ومن ثم كانت نظريته في النقد شديدة التأثر بالنظام القائم في عصره .

ومن هنا تولدت فكرته عن وظيفة الادب — فاذا كان همّ الادب هو محاكاة الحياة في خيرها وشرها واذا كان للاديب ان يغير في شخص الخيّر حتى يسمو الى مرتبة المثال ، وان يرسم الشرير حتى يكون في رتبة الشيطان الآثم الذي لا يتطرق اليه الحسن من اي وجه — فان للادب اذن في نظره وظيفة مهمة هي السمو الاخلاقي بالمجتمع . فالعملية الفنية في ذاتها تتضمن ذلك . الاديب ينحو بأدبه الى المبالغة بذود الشوائب اذا رمى الى رسم الفضيلة حتى يقدمها مصونة الى من يرغب فيها ، او الاغراق في القبح حتى ينأى الناس عنه . وفكرة السمو هذه اكثر وضوحاً في تحليله لعواطف قارىء الادب او المستمع اليه . فما التطهير (الكاثارسيس) الذي يحدث للنظارة في المأساة او لقراء الشعر الدرامي الا تحقيق لهذه الفكرة منعكساً بشكل فردي .

ونحن لسنا هنا بصدد شرح نظرية ارسطو في الفن فامرها معروف للجميع . وانما اردنا ان نخرج من ذلك بنتيجة هي ان النظام الكائن احياناً قد يحد من افق الناقد او الاديب . فاذا نادى ارسطو بان الادب للمجتمع وللمجتمع من ناحيته الاخلاقية فحسب ، فيجب على المؤرخ لتاريخ النقد ان يبحث عن اصول ذلك في النظام الذي كان يعيش تحته .

واذا عرضنا لتطور النقد في مختلف العصور سواء كان ذلك بين الرومان او عند العرب او في اوائل عصر النهضة في اوروبا وجدنا ان الفكرة الشائعة هي ان الادب يتصل بالحياة اتصالا وثيقاً — ونقصد بالحياة الواقعة هنا المجتمع من الناس الذي يضطرب بينه الاديب او الكاتب . فاذا مدح زهير هرماً بن سنان فانما كان ذلك لان مقتضيات الحياة في ذلك العصر ، والنظام الاجتماعي القائم ادى الى وجود ولي للامر يسوس القبيلة ويبذل العطاء للاتباع والمريدين وما اظن ان زهيراً تأنق في حولياته كل هذا التأنق لوجه الفن وحده ، وانما ابتغى من وراء ذلك مطلباً ونشيداً . ويمكننـــا ان نعتبر ذلك النوع من الشعر صناعة ما دام قد تخصص فيه قوم تقاضوا عليه اجراً .

وإذا انتقلنا الى العصر الاسلامي قابلنا في مطلعه جرير والفرزدق ونعتقد ان وظيفة الادب في ذلك العصر كانت مستمدة من نظام الحكم القائم فيه . واكبر دليل على ذلك تدخل الخليفة عبد الملك ابن مروان في تحديد مقاييس الذوق الادبي، ثم ظهور الشعر السياسي.

ونحن لا نستطيع حينذاك ان نقول ان الادب كالشمس ينبعث من الاديب اولا ثم يؤثر في المجتمع ثانياً. وانما نستطيع ان نقرر بجلاء ووضوح ان ثمة عوامل تؤثر في توجيه الادب، وان الانسان يستطيع ان يتحكم في توجيه هذه العوامل . وقد ضربنا لذلك مثلاً من نشأة الشعر السياسي في عصر بني امية . ومثل آخر هو ظهور الغزلين من الشعراء في بقعة بعينها من بقاع الجزيرة وهي المدينة ، وفي عصر بعينه من عصور التاريخ الادبي وهو العصر الاموي . كان ذلك نتيجة مباشرة او قل غرضاً قصد اليه معاوية حين عزل ابناء الصحابة من المترفين واغراهم بآلات الحضارة من مغنين ومغنيات وطرب عن المطالبة بالحكم . فكان ذلك سبباً في نشأة الشعر اللين المترف الى جانب الشعر السياسي الذي نتج عن الخصومة بين اهل الشمال واهل الجنوب . فتطور الادب اذن في بعض انواعه يمكن ان يكون تطوراً مفتعلاً كما يمكن ان يكون ايضاً تطوراً طبيعياً مسايراً للنمو العقلي والاجتماعي لامة من الامم. ونقصد بالتطور المفتعل هنا ذلك المجهود الذي يقوم به الانسان حتى يلائم بين انتاجه الادبي وبين بيئته المحيطة التي تتطور تطوراً سريعاً. فقد يحدث فجأة حدث جديد في المجتمع يؤدي الى تغليب بعض قيمه على الاخرى ولا يستطيع الادب ان يعجل بالسير حتى يلاحق تطور المجتمع الا ان يُبذل مجهود ايجابي من قبل الافراد وذلك شيء واضح في دراسة تاريخ الآداب .

واريد ان اخرج من ذلك بنتيجة وهي ان تطور الادب لا يرتبط ترابطاً مطرداً بتطور المجتمع . وقد يحدث احياناً ان يكون اتجاه المجتمع المحيط في ناحية والادب في ناحية اخرى. مثل من ذلك ما نراه من مظاهر القلق النفسي الذي يراود الادباء الاوروبيين في العصر الحديث من امثال اليوت وسبندر واولدس هكسلي . رغم ما يتمثله العلم في نفسه من استقرار وهدوء وطمأنينة . زعم العلماء لانفسهم — والتطوريون منهم على وجه التخصيص — انهم وصلوا الى مرتبة في الحضارة لم يبلغها انسان من قبل وقد لا يصل الى ابعد منها انسان من بعد . وذلك بتحكيم الالة في مصائر الافراد من جهة وفي مستقبل الجماعة من جهة اخرى . وهم يلتمسون الاسباب والحلول لكل ما قد يعده بعض الناس شراً من شرور المدنية الحديثة . يلائمون مثلا بين فكرة الحرب ومذهب البقاء للاصلح — مذهب الاختيار والتفضيل المبني على تطاحن العناصر . ويذهبون الى ابعد من هذا فيؤمن بعضهم بان فكرة الحرب ليست فكرة دامية مشؤومة كما يعلق بذهن كثير من الناس . وانما هي فكرة مبنية على ايمان عميق بانتصار الخير المتأصل على الشر العارض، كذلك اتجه الفكر الاوروبي الحديث ؟ ولكن الادباء وهم اكثر الناس احساساً بالمشاكل والازمات — يختلفون او قل يختلف اكثرهم مع هذا الاتجاه . فهناك ازمة في الضمير الاوروبي الحديث، ازمة مردها الى هذا الشعور الجارف بعدم الطمأنينة. ويعود الباحثون بهذه الازمة الى مطالع هذا القرن واواخر القرن الذي سبقه . وفي اعتقادي ان نقطة البدء قد تكون نظرية داروين سنة ١٨٥٩ ، حين تقدم العلم العقلي من ناحية تقدماً مطرداً فهدم الطواطم والتماثيل التي الفها الناس في قلوبهم من زمن قديم. تقدم العلم فوضع اسساً ومبادىء وتعاليم عن بدء الخليقة وعن تطور الانسان تختلف تمام الاختلاف عن القصص المعروفة . اقول تقدم العقل البشري على حساب القلب البشري — تقدم العلم على الايمان ...

ومن هنا بدأت المشكلة ، مشكلة الصراع بين العلماء من جهة ، وبين الادباء الذين تشاءموا وتجهمت لهم الحياة بعد ان فقدوا التماثيل المجسمة وغير المجسمة التي عبدوها ردحاً من الزمن من جهة اخرى . ومعنى هذا ان المجتمع الاوروبي متفائل ومتشائم في وقت واحد . يتحدث الناس فيما بينهم وبين انفسهم عن الآلة وعما يمكن ان تفعله من العجائب في لحظة او لحظات فيجدون في ذلك طمأنينة وغبطة واستقرار ، فاذا تحدثوا عن العاطفة وعن الفراغ الذي خلفته الالة في نفوسهم بعدما اطاحت بالكثرة الكاثرة من معتقداتهم انقلبت طمأنينتهم هلعاً وغبطتهم حزناً واستقرارهم هستيريا .

وبعد هذا كله ، او قبل هذا كله لا نستطيع ان نقول بأن الادب قد قصد به الى اثارة ذلك (الرضا والمتاع) الذي يحدثنا به طه حسين في المعركة الدائرة حول وظيفة الادب في مصر . ولا نعتقد ان نظرتنا الى الادب هي تلك النظرة الجزئية التي يمكن ان يحدها النص الادبي وحده ، وهل خرج اللفظ فيه على المعنى ، او زاد المعنى فيه على اللفظ ، واكثر من ذلك بتأثير

تعريف بالادب الامريكي

بقلم عبد الجبار عبد الرحمن





توطئة

قد يحلو لبعض المطلعين على الآداب العالمية والمهتمين بالادب المقارن ان يتهموا الادب الامريكي بالسطحية والضحالة والخلو من كل اثر يحتل مكانة عالمية ، فهو كما يبدو لهم ، ادب قاصر ضعيف لم يبلغ ما بلغته الآداب الاخرى . الا اني ارى في هذا الرأي كثيراً من التجني والحيف لأن الادب الامريكي وان خلا من ادباء عالميين كشكسبير وفولتير وجيته وتولستوي الا (انه ادب موفور نفيس يحتل في الحياة الفكرية العالمية منزلة رفيعة القدر)* كما ان هذا الانطباع السيء الذي يحمله البعض عن الادب الامريكي قد ينطبق على المرحلة الاولى من نشوئه في القرنين السابع عشر والثامن عشر، الا ان النتاج الادبي في القرن التاسع عشر والعصر الحاضر بلغ مستوى رفيعاً ويعد صنواً للآداب الانسانية الخالدة. وفي هذه العجالة اود ان استعرض المراحل المختلفة لتطور الادب الامريكي استعراضاً سريعاً الم فيه ببعض الخطوط الرئيسية ، لكي اعطي للقارىء فكرة عن البذور الاولى التي اثرت الادب المعاصر في القارة الجديدة .

نشوء الادب الامريكي

يمكننا ان نعد مطلع القرن السابع عشر بداية للادب الامريكي ، فقد اخذ بعض الادباء الانكليز الذين استوطنوا امريكا الشمالية في تدوين مشاهداتهم وما تعرضوا له من مخاطر ومشاق في تلك الربوع كما ان المتدينين منهم انصرفوا الى تأليف ابحاث تتصل بالدين وحرية الاعتقاد، وكان الطابع الغالب لادب هذه الفترة المحاكاة والبعد عن النضج الفني .

اما الفترة التي اعقبت ذلك فقد حدثت خلالها الثورة الاستقلالية ضد الاستعمار الانكليزي ، والملاحظ ان الادب بدأ يتحرر في غاياته واساليبه وفقاً لما تتطلبه روح الثورة الكاسحة وقد توفر للادب الامريكي ادباء لمسوا الشعور القومي الذي كان يتحسسه المواطن الامريكي ، وصوروا المشاكل التي تتعرض لها البلاد في تلك المرحلة الانتقالية ، ومن هؤلاء بنيامين فرانكلين

* طه حسين ، من حديث له مع الاستاذ وديع فلسطين نشر في الاديب الجزء ٢ السنة ١٢ .

النص الادبي كمجموع في نفوسنا المحسة . وانما نحن ننظر الى الادب كوجه من وجوه النشاط الانساني العام ، يتفاعل مع الانسان وينفعل به الانسان بطريقة اعم وأشمل واعمق اثراً من تلك اللذة العابرة التي يحدثها نص من النصوص في نفس القارىء، فانا لا اقرأ الادب لأقضي به على الملل الذي اخصه في وقت الضيق ، وانما اقرأه لاني اشعر اني جزء من هذه الانسانية جمعاء لي ما لها من عواطف ، وتمر بي ما تمر بها من التجاريب . ولم يصور زولا قبح الحياة حتى ترضى عنه عيوننا السوداء وانما قصد من ذلك الى اشياء متعددة يطول بنا المقام في شرحها . وبودلير اتراه عنى في شعره بالصورة الجميلة التي تحدث في النفس (رضا ومتاعا) قبل ان يعنى بابراز الشر الذي يسيطر على هذا العالم؟ ومالي اشتط بعيداً وقد ذكرت في مطلع هذا المقال شيئاً عن ارسطو وعن رأيه في التراجيدي ، وانها تقصد اولا وقبل كل شيء الى احداث نوع من (التطهير) بين عواطف الانسان.

وعلى العموم فليس الادب نوعاً من الترف كما يعده بعض الناس ، ولا يقصد الادب بأي حال من الاحوال الى اثارة اللذة والرضا في نفس القارىء فحسب ، فالادب شيء اكثر جدية من هذا ، انه يتصل اتصالاً عميقاً بماضي هذه الانسانية ، وبحاضرها الذي نعيش فيه ، ومستقبلها المجهول الذي ننتظره ..

القاهرة — عادل سلامة

الذي ابدع في كتابه سيرة حياته ، وفيليب فرينيو الذي كان من احسن شعراء عصره ، ومع انه انصرف في نظمه الى المواضيع السياسية الا ان بعض قصائده غنية بالعاطفة .

الادب في القرن التاسع عشر

وفي اوائل القرن التاسع عشر كانت امريكا تمر بفترة هدوء واستقرار بعد تلك الحرب الطاحنة . وبدأ الشعب يتهيأ لبناء المجتمع الجديد، وانصرف الادباء الى تأكيد الفردية في الاسلوب والاهتمام بالطبيعة شأنهم في ذلك شأن الادباء الرومانتكيين في اوربا . فالقصاص واشنطن ارفنك (١٧٨٣ — ١٨٥٩) الّف بعد رجوعه من اوربا بعض القصص التي امتازت عن غيرها من قصص العصر بخلوها من الوعظ والارشاد وبروز روح النكتة فيها . ولعل من المناسب ان نذكر ان (ارفنك) زار اسبانيا وتأثر بما شاهده من بقايا حضارة العرب هناك فكتب سلسلة من القصص الخيالية مستوحاة من قصر الحمراء دعاها Alhambra

اما وليم بريانت (١٧٨٩ — ١٨٥١) فقد كان اول شاعر امريكي كسب شهرة تعدت حدود بلاده ، كما انه اول من تطلع الى الطبيعة وتأمل في قصائده فناء الاحياء حتى ان بعض النقاد دعاه بشاعر الموت لكثرة مانظم في موضوع مصير الانسان .

ومن الشخصيات التي طبعت الادب الامريكي القديم بطابع الفردية المتميز الشاعر القاص الفذ ادكار آلان بو (١٨٠٩ — ١٨٤٩) فقد امتازت اشعاره بجرس موسيقي جميل وايحاء لفظي يرسم للقارىء فكرة القصيدة ويؤثر في عاطفته وشعره . ويقول (بو) ان ما ينشده الشاعر اظهار جمال القصيدة اللفظي لا فكرتها . وقد كتب في النقد فصولاً حول هذا الموضوع وادعى ان القصيدة يجب ان تكون خاضعة لصناعة الشعر وان تبتعد عن الوعظ والارشاد وان تكون قصيرة تقرأ في جلسة واحدة ، كما ان موضوعها يجب ان يكون مأساة امرأة جميلة . والملاحظ هنا ان (بو) كان متأثراً بادباء فرنسا الرمزيين الى حد كبير . ويعد (بو) من ابرع القصاصين ومن الممهدين لتطور القصة القصيرة . واكثر قصصه تتصف بالحبكة الفنية الا انها تدور حول حوادث مثيرة مفزعة وغريبة عن حياة الناس العادية .

اما القصاص جيمس كوبر (١٧٨٩ — ١٨٥١) فقد نجح في مجال القصة الطويلة . وجعل موضوع قصصه كفاح مستوطني امريكا الاوائل ضد الطبيعة القاسية وضد الهنود الحمر . ووصف احوال هؤلاء المستوطنين بدقة وبراعة . ومن قصصه الخالدة (الجاسوس) وفيها تعرض لقضية الحرية في امريكا والصراع بين الامريكيين والتاج البريطاني آنذاك .

بعد هذا هز امريكا صراع عنيف دار بين سكان الشمال وسكان الجنوب حول تحرير العبيد ووحدة الولايات انتهى بانتصار مؤيدي فكرة التحرير والوحدة ، الا ان هذه الحرب الاهلية تركت اثراً لا يمحى من نفوس السكان من الجانبين واثارت القلق في حياتهم وبالتالي في ادبهم، كما انها مهدت الطريق الى التفكير العميق لاحداث تغيرات اجتماعية وفكرية في المجتمع الامريكي . وقد واجه ادب هذه الفترة المشاكل السياسية والاجتماعية والفكرية بروح جديدة واسلوب جديد ويتضح لنا اهتمام الادباء بالافكار والمبادىء والمشاعر الانسانية اكثر مما اهتم به سابقوهم . ونلاحظ هنا ظاهرة تكاد تكون غريبة وهي ان التعبير عن ذلك القلق وتلك الافكار كان الشعر دون النثر فقد حفل هذا العصر بشعراء كثيرين يعدون اليوم في مصاف شعراء اوربا العظام بينما خلت العصور السابقة من شاعر واحد يمكن ان يكون له تأثير عالمي . وظاهرة اخرى في ادب هذه الفترة هو انه يمثل الاتجاه الرومانتيكي الذي عم اوربا بعد ان سئم الناس الكلاسيكية بقيودها وتصنعها فعاد الشعراء الى الطبيعة وعنوا بادب العصور الوسطى وصوروا العواطف الانسانية وتحسسوا المشاعر الفردية ، ولعل اشعار هنري لونكفيلو (١٨٠٧ — ١٨٨٢) خير مثل لما ذهبنا اليه فهي تتسم بالبساطة والوضوح مما حبب الشاعر الى متذوقي الادب من الشباب ، كما ان تأثره بالآداب الكلاسيكة والاوربية دفعه الى نظم عدة قصائد قصصية طويلة مثل (ايفنجالين) واغنية (هاويتا) وبذلك برهن ان باستطاعة الامريكيين مجاراة الكتاب الاوربيين في اساليبهم الادبية . الا ان النقاد اخذوا على لونكفيلو قلة اهتمامه بما كان يحيط به من مشاكل اجتماعية وانصرافه كلياً الى قصص الحب بعكس معاصريه الذين وجهوا ادبهم نحو خدمة المجتمع مثل الشاعر جون ويتير الذي عالج مشكلة الرق في امريكا في معظم ما الفه من قصائد الا ان شهرته في الوقت الحاضر تكاد تقوم على قصيدة واحدة وهي (حصار الثلج) حيث ضمنها اوصافاً بديعة وصوراً رائعة لحياة عائلة ريفية في ايام الشتاء الباردة وقد استوحى فكرة القصيدة من البيئة التي كان يعيشها هو وعائلته .

ومن اعظم شعراء هذا العصر الشاعر ولت وتمان (١٨١٩ —

١٨٩٢) الذي عرف بافكاره الجريئة في الدعوة الى الديمقراطية ونزوعه الى الحرية الفردية وثورته على العرف والتقاليد البالية. ويمتاز عن معاصريه بعاطفته الصادقة وصراحته وميله نحو العامة من الشعب والتعبير عن مطالبهم واما نيهم فهو شاعر الديمقراطية الحقة. وقد لاقى ديوانه (اوراق العشب) شهرة واسعة . والحقيقة ان (وتمان) يمثل مرحلة تجديد انتقالية في الادب الامريكي اذ نفض عنه غبار المحافظة المتزمتة وغرف من منبع الحياة المتدفق وعب من الطبيعة ، لذا فهو في عداد الخالدين من ادباء الحياة .

ان وتمان اول من نظم في الشعر المتحرر Free Verse وبذلك انطلق من الوزن والقافية كما خرج على قيود المجتمع. وهناك عدد كبير من الشعراء الذين انتجوا انتاجاً مثمراً طيباً وخطوا خطوات واسعة نحو الكمال الفني ومنهم الشاعران جميس لوول وسدني اللذان خلفا لنا مجموعة من الشعر الغنائي الجميل Lyrics غير انهما لم يبلغا ما بلغه وتمان من شهرة وخلود .

قلنا ان حظ النثر لم يبلغ مثل حظ الشعر في الرواج في هذه الفترة من تاريخ الادب الامريكي ، لذلك قلما نعثر على كاتب او قصصي او روائي كان له تأثير كبير في مجال النثر . الا انه من الممكن ان يستثنى رالف امرسون (١٨٠٣–١٨٨٢) الذي برع في ميداني الشعر والنثر . وهو يعرف كمفكر وفيلسوف اكثر منه شاعر لانه من انصار النزعة المعروفة بالترنساندنتيلزم التي تقول بتفضيل المدركات البديهية والعقلية على الاختبار والتجربة ، ونعتقد ان من الممكن للانسان الوصول الى الحقيقة المطلقة عن طريق التأمل والايحاء . وقد كان لهذه الفكرة الجديدة تأثيرات مختلفة في الانتاج الادبي، فدفعت بعض الادباء الى الفردية الشديدة وبعضهم الى العطف على عامة الشعب كما اكسبت البعض الآخر قوة جعلتهم يدركون جمال الحياة ومآسيها. كتب امرسون مقالات ممتعة تحمل روحاً شعرية ومن اشهر مقالاته (الطبيعة) وفيها شرح لتعاليمه التي تدعو الى الفردية والتغلغل الصوفي في الطبيعة ، كما دعا الامريكيين في مقالة اخرى سماها (الاعتماد على النفس) الى التحرر من تقليد الثقافة الاوروبية وخلق ثقافة امريكية اصيلة . ويقرب من امرسون في هذه النزعة الجديدة الكاتب الثائر هنري ثورو (١٨١٧–١٨٦٢) فقد اعتزل الناس مدة سنتين في كوخ في احدى الغابات ثم الف كتابه المعروف بـ (والدن) باسلوب روائي جميل كما اننا نلمح

في كتاباته الاخرى العمق والنضوج الفكري . اما الروائي ناثانيل هوثورن (١٨٠٤–١٨٦٤) فقد تأثر هو الآخر بهذه الحركة الفكرية الجديدة فعرض في قصصه صوراً من حياة المتدينين الانقياء Puritans في مقاطعة نيوانكلند، كما حلل بطرق سيكولوجية الآراء الدينية السائدة في عصره وعلى الرغم من ان قصصه تكاد تخلو من حبكة فنية الا ان بعض الشخصيات التي خلقها لا زالت حية ونلمس ذلك واضحاً في روايته المشهورة (الحرف القرمزي) وهي اول واشهر قصة في الادب الامريكي.

عصر الواقعية

وفي الحقبة التي تلت الحرب الاهلية انصرف الامريكيون الى تعمير بلادهم المخربة وتنظيم امورهم واحداث ثورات اقتصادية كان لها تأثير كبير في مجرى الحياة العامة ، وكانت عاملاً مهماً لقيام صناعة ضخمة وتقدم تكنيكي لا زلنا نلمس آثاره في عصرنا الحاضر . وكنتيجة لتصنيع البلاد نمت المدن بسرعة وظهرت طبقة من الصناعيين واصحاب الشركات وطبقة عمالية ولكل منهما مشاكلها الخاصة . هذا بالاضافة الى تدفق المهاجرين الجدد واستمرار التوسع نحو الغرب لاستيطان الاراضي الخالية . ولا شك ان هذا التطور الاجتماعي والاقتصادي قد صاحبه تطور فكري وثقافي ، فبعد ان كانت فلسفة الترنساندنتيلزم هي المسيطرة على المثقفين بدأ بعض هؤلاء يشكون في قيمة هذه الفلسفة ، وخاصة بعد ان تلقحت افكارهم بنظرية التطور وبقاء الانسب . لذلك لزم قيام فلسفة جديدة تفسر عالماً متطوراً وتسد الحاجات الاجتماعية الراهنة . وهكذا نشأت فلسفة (الذرائع او العملية) Pragmatism وهي الاعتقاد بان اهمية الافكار والمبادىء انما تظهر في نتائجها العملية ، ومن الطبيعي ان الادب الجديد لا بد وان يتأثر بهذه المظاهر الجديدة في الحياة الامريكية وما صاحبها من تطور فكري وثقافي ، فنحا الادباء لتصوير الواقع كما يتمثل في حواسهم دون تنميق او تحريف . ولا شك ان هذا الاتجاه كان امتداداً للحركة الواقعية Realism التي ابتدأت في فرنسا وامتدت الى الاقطار الاوربية الأخرى .

وقد بلغت كتابة القصة اوجها في هذا العصر وكانت المجال الذي عبر به الواقعيون عن نزعتهم الجديدة ومن اوائل كتاب القصة الواقعيون وليم هاولز (١٨٣٧ – ١٩٢٠) الذي اهتم برسم الصور الصحيحة للحياة في نيوانكلند وعني بعرض التفاصيل لما كان يشير اليه . وهو معروف كناقد ايضاً . ويلاحظ القارىء في ادب هذه الفترة نشوء مدرسة ادبية جديدة هي امتزاج للنزعتين الرومانتيكية المتداعية والواقعية الناشئة وقد سمي ادباء هذه المدرسة بأنصار الادب الاقليمي لان كل فئة منهم مالت الى تصوير الحياة المحلية في منطقتها بكل ما فيها من عرف وعادات محلية ومناظر مألوفة . كما غالى البعض منهم فكتب حوار قصصه باللهجة العامية فكل من يقرأ قصص برت هارت (١٨٣٦ – ١٩٠٢) يعرف الشيء الكثير عن حياة العمال في مناجم كاليفورنيا آنذاك بكل ما فيها من خشونة وعواطف ساذجة . وقد ثار بعض المتزمتين من الامريكيين ضد هارت لانه عرض حياة البغايا والساقطين عرضاً يوحي بالعطف عليهم كما هو واضح في قصته (منبوذو بوكر فلات) .

اما جورج كيبل (١٨٤٤ – ١٩٢٥) فقد نشأ في مدينة نيواورلينز في الجنوب فوصف في قصصه جمال تلك المنطقة وصور حياة سكانها ذوي الاصل الفرنسي ، ويكاد النقاد يتفقون على ان اعظم كاتب ظهر في العصر الذي نحن بصدده هو مارك توين (١٨٣٥ – ١٩١٠) الذي نشأ في بلدة قرب نهر المسيسبي واشتغل في صباه بحاراً في احدى البواخر فصور في مؤلفاته تلك الحياة التي كان يحياها والتجارب التي مرت عليه مضيفاً اليها ما خلقه خياله فجاءت قصصه آية من آيات الابداع . ولعل كتابه (الحياة على المسيسبي) من اعظم ما الفه في هذا المضمار . ويمتاز مارك توين عن سواه من الكتاب بروح الفكاهة فهو اديب موهوب يمزج الفكاهة المستملحة بالحقائق الظاهرة فيبدع ويبز معاصريه من كتاب القصة . واذا تصفحنا كتابه (الابرياء في الخارج) نجده حافلاً بصور تثير الضحك عن سذاجة بعض الامريكيين الذين يزورون اوربا والشرق . وكتب مارك توين قصتين هما (توم سوير) و (هلكبري فن) وفي كل منهما يصور حياة صبي وما كانت تنتابه من افكار وما كان يقدم عليه من مجازفات كل ذلك بأسلوب فاتن جذاب . وله مؤلفات كثيرة اخرى لا مجال لحصرها هنا ولكن يمكن القول ان كل مؤلف منها طافح بالشعور وروح النكتة وجمال الاسلوب .

هذه لمحة خاطفة عن تطور الادب الامريكي حتى اواخر القرن التاسع عشر . اما ادب العصر الحاضر فله قصة اخرى عسى ان اوفق لعرضه في وقت آخر .

بصرة - العراق　　　عبد الجبار عبد الرحمن

هواها

✷

تقولين ان يدي صنيعتك ... وقد كنت تحيين ملء عروقي
وان هواك العظيم .. العظيم ... زجاج تحطم فوق طريقي !

وانك اصبحت قبراً قديماً ... من الذكريات .. يعيش بقلبي
ينام الشذى فوقه والعفونة .. ... والورد والشوك جنباً لجنب !

واني اصبحت عنك غريباً ... يمر عليك فلا تعرفينه
غريباً تلاقيتما مرة ... ... وغطتكما ظلمات المدينه !

اذن فاسمعي انني سأغني ... سأعزف لحن الجناز الكبير
فقد آن لي أن أهز الحياة ... بحزني .. بكل مراثي القبور

سيحيا بقلبي بكل صباح ... هواك .. ويذبل عند الهجوع
فادفنه في خرائب نفسي ... والقي عليه تراب الدموع

وأسهر طول ليالي الشتاء ... أضيء الشموع ، وأطفي الشموع
وأقطف زهر الظلام الحزين ... وانثره فوقه في خشوع ..

وأحنو بكل كياني عليه ... وألثم جبهته البارده
وأغرق ناري في شفتيه ... وناري ملعونة حاقده !

الى ان يجيء الصباح الجديد ... وينفجر الدم ملء السماء
فيحيا بقلبي هواك الشهيد ... لأندبه خلف سور المساء

القاهرة

محمد الفيتوري
من رابطة النهر الخالد

القديس مارتينو النخلة

San Martino La Palma di Giovanni Papini

بقلم جيوفني بيبني ترجمة مصطفى آل عيال

✳

جيوفني بيبني*

ما اكثر المراحل التي اجتازتها عبقرية هذا الرجل ، ولا تزال تجتازها حتى ساعتنا هذه . شباب ونشاط . تحدوه رغبة ملحاحة في العب من منهل الثقافة لم يفته الاطلاع على احسن ما كُتِب في دولة الشعر والادب والفكر عند اشهر الامم .

أحب الجدل فألف فيه وبرع ، ترك لنا ركاماً من المقالات في شتى الموضوعات فابدع ، وكانت حجة له على طول باعه في جميع الحقول التي خاضها .

كان صحفياً تألق نجمه ولمع . لم يكن قد تجاوزت سنه الثالثة والعشرين عندما اسس مجلة للابحاث الفلسفية دعاها « ليونردو » ثم اصدر فيما بعد صحفاً اخرى كمجلة « الصوت » وغيرها .

وكأن كل هذا لم يكن كافياً لأظهار جميع نشاطه ، فترأس عام ١٩٠٣ التحرير في مجلة « رنيو او المملكة » . وصار مديراً لمجلة تحمل اسمها باللغة الفرنسية وتصدر بهذه اللغة ايضاً : « فَرا ايطالي » اي ايطالية الحقيقية . وكان يرمي بها تعريف الاجانب الى وجه ايطاليا الجديد .

كانت اكثر جولاته موفقة في جميع ما قام به من الاعمال الادبية . لم تفته المساهمة في الابحاث الثقافية والمجاري الفكرية ، والاحداث الروحية المعاصرة .

والشاهد على نشاطه الفريد مؤلفاته العديدة المتعددة الابحاث والمتنوعة الالوان بمقدار ما يتنوع العقل البشري .

نقف حيال هذا التراث الضخم والذي لا يزال على ازدياد ، وقد كثر السمين فيه وقل الغث ، معجبين بهمة هذا الرجل التي لا تعرف الكلل . وخياله الذي لا يمل الابداع . عقل راجح وحكم فيه كثير من الصواب .

كان المحرك الاول خلال السنوات العشر التي سبقت الحرب العالمية الاولى ، للمجاري الفكرية وللثقافة الاوروبية والامريكية . ولم تخلُ آراؤه من مناقضات ومعاكسات . وقد ظهرت ثمرات مجهوده الفلسفي الرومنطيقي في كتاب دعاه « رجل انتهى امره » . وهو كتاب اعترافات ومنهج روحي لمواقف « بيبني » وهو في ميعة الشباب .

ثم اتت عليه فترة من الهدوء والمهادنة . فهجر الفلسفة ريثما يعود اليها فيما بعد . والّف لنا الشيء الكثير في النثر والشعر نذكر منه « مئة صفحة » و « التأليف الاول » و « ايام العيد » وقد انبثق من هذه التآليف ، بيبني الكاتب بديباجته الصافية وجملته المقتضبة . وكان لكلامه وقع جاف احياناً يشبه مقاطعة التوسكانا حيث كان مولده عام ١٨٨١ .

بدأت شهرته بكتاب شبه فلسفي دعاه « غسق الفلاسفة » فيه من التأويلات والتفسيرات الغريبة ما ادهش القراء والكاتبين . وترك الجميع في خضم من الحيرة لا يعرفون للحديث تأويلاً .

الى هنا ونحن لا نزال في المرحلة الاولى من حياته مرحلة الشباب الثائر على كل وضع . مرحلة العبقري المتحمس لكل طريف . مرحلة الشاك في دينه ، هذا الدين ، الذي – على حد قوله – يمثله المدعون تمثيله ، وهم ابعد الناس عن سمو روحه ونبل معانيه وانسانيته الانسانية .

✳

وتبدأ المرحلة الثانية من تلك الحياة الصاخبة بعد الحرب العالمية الاولى . وكان من ثمار هذه المرحلة توبة الرجل . ولم يكن ذلك بمساعي رجال الدين ، اولئك الذين بسط فيهم لسانه وجردهم من ثياب الفضيلة بله الانسانية ...

* القيت في المعهد الثقافي الايطالي ببيروت . وهي المحاضرة الثانية عن « الاقصوصة الايطالية » .

كان لهذه التوبة صدى واي صدى في جميع الاوساط . لقد أثار بفعلته هذه فضول النقاد الايطاليين ورجال الادب في اوروبا، بما اكسبه شهرة او قل اتسعت شهرته حتى باتت تذكره تلك الفئة من البشر الذين وطدوا العزم على ان يتجاهلوا وجوده. وحتى الادباء المتطرفون انفسحوا له مجالاً في ندواتهم ومجتمعاتهم. ومن ثمرة هذه التوبة والتي زادت الرجل نوراً على نور كتابه « قصة المسيح ». كتاب يعدّ من احسن مؤلفاته في هذه الحقبة من الزمن ، اي في المرحلة الثانية من حياته. وكان ذلك حدثاً عظيماً ملأ العالم سمعه وبصره . وقد تهافت المترجمون على نقله الى لغاتهم . فبلغت ثلاثين ترجمة الى ثلاثين لغة مختلفة.

بدأ الغار يحيك له اكليلا من اوراقه . وبدأ النصر يزحف اليه . فعرضت عليه عام ١٩٣٥ كرسي اللغة والآداب في جامعة بولونيا الشهيرة . فرفضها وآثر الحرية .

*

والآن اريد ان أتعرض لببيني القاص . كان نثره رشيقاً صريحاً عدوانياً احياناً. كان غالباً ما يقص علينا بأسى وتحسر وحرقة ، مطامحه الروحية. فكأنه كان يبكي « نعيمه المفقود ».

كانت كل كلمة تدبجها يراعته تنبض بالحياة ، ولكنها كثيفة وقد تجلى ذلك على الخصوص في كتابه « رجل انتهى امره » ، حيث تظهر روحه الحزينة الكئيبة ، وفلسفته العجيبة ، ونقده الفريد. والكتاب كله قصة اكمل ما تكون واشد عاطفة لمغامراته العقلية. انه يخلق في نفس القارىء العزلة. عزلة تلك البراري التي نفرّ منها لكثرة ما فيها من الحجارة المبعثرة في كل مكان. والسماء من فوقها قد عبست واكفهرت وهي لا تبشر بالخير ابداً.

بهذا الكتاب يختم الببيني عهد الابداع (١٩٠٦) ليحضر الجو لاسلوب فيه شيء من الراحة والصفاء. وقد تجلى ذلك في كتابه « مئة صفحة من الشعر » .

تقدم الببيني من الجمهور كقصاص ومناهجه ميتافيزيقي (وهذا من الامور النادرة في تلك الايام) ، وهذا المنهاج ينبثق من المبدأ القائل : بان كل شيء موضوعي ووهمي في آن واحد . وحتى الفلسفة ذاتها يمكن ردها الى هذا المبدأ .

ثم، وبعد النظر الى التجارب التي قام بها ذوو المذاهب الواقعية والحسية والصوفية ، مالت القصة عند الببيني الى الأخذ من منهج «بو» ، ومالت الى المسائل الفكرية الكبرى . وكانت ادوارها عالمية النزعة غنائية. ومع ذلك فقد استرقها وسخرها لاهوائه الابداعية . ثم ابتعد بها عن الواقع حتى اصبحت في اغلب الاحيان عبارة عن مغامرة بين الحزن والمضحك .

كان همه في اقاصيصه ، وحسب اعترافه هو ، علم النفس المريض الفاسد في الانسان لا الشعر. وساد هذا المنهج اسلوبه ، وكان له أثرٌ بيّن في اكثر اقاصيصه . وكان يرمي به الى التأثير مفضلاً الكلام على الاعمال.

الى هنا اوشكت المرحلة الثانية من حياة الببيني ان تنتهي. كان فيها مؤمناً وعبداً طيعاً يكفر عما سلف من ذنوبه بطريقته الخاصة .

ومنذ بضعة ايام فقط اكفهر وجه السماء ورجعت الغيوم تتلبد في ارجائها . فكان رعد وكان برق ، وكانت رياح عاتية وعواصف هوجاء. وفجأة انفجرت الارض عن ألسنة من اللهب ما عتم ان ظهر من بينها صاحبنا الببيني وقد اسود وجهه من الدخان وتراكمت الغضون فيه وتضاءل جسمه النحيف، وتقوس الظهر منه حتى كاد جبينه يلامس الارض . كان ينوء بحمله الثقيل . كان يتأبط الشيطان او هذا يتأبطه لا ادري . لقد تمخضت قريحته بعد الخبرة الطويلة عن هذا الكتاب الغريب « الشيطان » ومن اتخذ الشيطان له قريناً فقد ساء قريناً .

لقد اسخط الكنيسة مرة اخرى وحاشا هذه ان تسخط . لقد اسخط الذين يمثلونها او الاكليروس. فكان منهم ما كان... او ما سيكون في هذه الايام .

وهكذا بدأت المرحلة الثالثة والببيني على وشك او يودع هذه الدنيا .

مراحل ثلاث : كُفرٌ في الاولى . وتوبة وايمان في الثانية وربما تكفير وحرمان في الثالثة .

ومهما يكن من شأن الكنيسة معه ، فليس لنا ان نبدي أي رأي في المسألة .

إنما نستطيع ان نقول ، وهذا من حقنا ، ان في الببيني شيئين : نفسه الانسانية والله .

القديس مارتينو النخلة

كان بين امي وشعري الأشعث الثائر على كل نظام، حرب شعواء لا مهادنة فيها. كانت عندما تمشطني بمشط لا ادري اين عثرت عليه او عن اي جد او جدة ورثته ؛ أو عندما تركز القبعة البحرية على رأسي ، كانت تقول لي بصوتها العذب وكأنه آت من الابعاد : « في

يوم من الايام سنذهب الى «سن مارتينو لا بلمه» (وهو مكان معروف بهذا الاسم في ضواحي مدينة فيرنتسه) .

وما ذهبنا قط. في كل يوم نردد الموال ذاته ، فتمر الايام والاسابيع والاشهر ونحن مقيمون في عقر دارنا . لم نعزم قط عزمة اكيدة صادقة للقيام بهذه الرحلة الشيقة على ما كان يبدو من كلام امي. كنا في حيرة لاختيار اجمل فصل ننفذ فيه مشروعنا وكل الفصول جميلة وليس الاختيار بينها من الامور اليسيرة .

ويلوح ان « سن مارتينو النخلة » مكان بعيد وجميل ، وانا أحب الجمال. فكان علي ان انمو واكبر كي استطيع الوصول اليه كان لسان امي لا يفتر عن ذكراه . تذكره بورع ونهم . كان يقوم في مكان منعزل بين الجبال والادوية. يتألف من كنيسة ودار كبيرة يسكنها الكاهن . ويحيط بجميعها جنينة غناء ، واسعة فسيحة ، فيها ما تشتهي الاعين من كل ما لذ وطاب . فاكهتها لا كالفاكهة التي نشتريها في المدينة وقد مرت ايام على قطافها فذوت نضارتها . وتناولتها أيد كثيرة فتقلبت بينها وزنخت. ولفت باوراق ملونة كي يستر عيبها وتستهوي الانظار.

اما تلك الفاكهة التي نمني النفس بلقياها في يوم من الايام ، في تلك البقعة السعيـــدة من الارض المسماة « سن مارتينو النخلة » ما اكثرها : كرز احمر لماع ، وخوخ مختلف الانواع ،واجاص طاب مأكله ، وتفاح فاح اريجه وتورد خده ، وتين ذبلت عيناه من حلاوته ، ودراق فضي ، وعنب ذهبي... كل هذه الخيرات تدلت من اغصانها ، واطلت من بين الاوراق برؤوسها، هامسة مغرية ، ما اجملها ، وايسر جناها ، انها توفر علينا وضع تلك الدريهمات النحاسية في يد البـــائع الوسخة ذي الوجه الكالح .

والكاهن هو الذي يملك كل هذه الخيرات التي تفيض بها تلك الجنينة العجيبة .

كنا نتحدث عنها انا وأمي قياماً وقعوداً حتى امتلأ كل شبر من منزلنا بصداها. بين امي والكاهن معرفة طفيفة ، وهي شبه قريبة لتينك المرأتين اللتين تعايشانه ، وهو على ما يقال ابن عمها ولقد كررتا الدعوة الى والدتي كي تزورهما ، بشرط ان تأتي صيفاً يرافقها الصبي واعني انا بالذات.

كنت في كل مرة اشتري من تلك الفاكهة الذاوية، والمس ايدي البائعين القذرة ، أهوّن على نفسي عندما اذكر تلك الجنينة ، عروس احلامي ، وقد حوت اشهى الأثمار واطيبها ، واحاطت بها اسوار منيعة لتحول دون المتطفلين .

اما نحن فلا، لاننا نعرف اصحابها، وبيننا وبينهم شبه قربى رباه ما احلى تلك الجنينة . انها مقدسة مباركة غنية عظيمة جداً جداً . (كان طفلنا يسرح وراء خياله فيغمض عينيه ويتصور تلك الجنينة لا كجنة الخلد) .

*

واخيراً اراد الله ان يأتي ذلك اليوم الموعود . لبست امي احسن وافخر ما عندها من الثياب . لبست ذلك الفستان البني اللون والذي يعيد اليها رونقها فيظهرها اصغر سناً مع انها لا تزال في ميعان الصبا . اسنانها بيضاء لامعة. كل ما فيها كان جميلاً.

اما انا فكنت كبش الفداء . فقد غدوت باكراً وتركت زمامي بين يدي امي فغسلتني والبستني ثياباً نظيفة وبزة جديدة ومشطتني بمشطها ذاك التاريخي حتى اصبح كل شيء فيّ براقاً لماعاً . ثم حملتني بين يديها واتت بي امام المرآة لأتأمـــل بشكلي ثم سمعتها تقول بصوتها الحلو : « كأنك ولدت من جديد يا دميتي الحبيبة » .

خرجنا من البيت وسرنا على بركة الله . وكان الوقت ظهراً والشمس ساطعة محرقة . وقد نسينا من شدة فرحنا ان نتناول طعام الغداء ، ولماذا نتناوله ؟ اما عزمنا على ان نشبع من معجزات جنة « سن مارتينو النخلة » .

بلغنا ساحة البلدة وقد غمرتها الشمس بفيض من نورها ونارها صعدنا في عربة تشبه النعش لضيقها . سوداء وزرقاء اللون كدن عليها حصانان فوقهما سرجان اسودان ، لا ينفكان عن نكث الارض بحوافرهما . وليس ذلك للتعبير عن رغبتها في الجري والركض ؛ انما ذلك لكثرة الذباب الذي كان يضايقها واخيراً. لقد تحرك النعش ، عفواً العربة . فكان لفرامله صرير قوي لا كصرير الشياطين في هرجها ومرجها . اقلعت وسارت الهوينا. تمشي ملاصقة للرصيف والحصانان لا يرفعان رأسيهما عن اديم الارض . يميلانها يميناً وشمالاً . كنا ، امي وانا ، وحدنا على المقعد الطويل . ثم صار الحصانان يمشيان الخبب . وكان خببها البطيء يثير اعصابي . ومع ذلك انتفخت زهواً. ونظرت شزراً الى كل عربة كانت تمر بنا ويجرها حصان واحد فعربتنا يجرها حصانان يسيران الخبب في عرض الطريق الآن . كأنهما يمثلان السلطة المدنية والشعبية معاً ..

وقد اراد الله ان نصل . فغادرنا العربة وبدأنا متابعة رحلتنا

سيراً على الاقدام . وكانت الطريق جديدة وقد شقت منذ قليل يعلوها من العثير الناعم ما يملأ الجو والفضاء كلما حركنا ارجلنا صوبنا النظر امامنا فلم نر احداً في تلك الساعه الرهيبة . سرنا على غير هدى وكاد الغبار يطمس اعيننا . كنا نبحث عن حفنة من الظل نسرقها من تلك الاسوار التي كانت تحيط بالجنائن ودور الاغنياء المتوسطين والمغلقة ابوابها ونوافذها اتقاء شر الهاجرة .

وما زلنا نسير حتى بلغنا المزارع حيث الاسيجة الفاصلة بين حقل وآخر . حيث شجر الحور القائم صفوفاً وقد التفت الكرمة حوله . وعانقت كل غصن منه . ولم تكن فيه ورقـــة الا وافترشها الغبار فبدت بيضاء لألاءة كأننا في يوم فيه الثلوج تنهمر ولكننا اعتقدنا ذلك لولا وجود الحر اللافح والشمس اللاهبة .

لم يمر بنا احد . وكنا نريد ان نستدل على الطريق خوفاً من السير في اتجاه معاكس لجنتنا المنشودة . ولم يدر بخلدنا ان « سن مارتينو النخلة » امامنا متزملاً بذاك الوشاح الابيض من العثير . وقد اظلته اشجار الفاكهة . وكثرت فيه هياكل الكرمة . وتنوعت الازهـار . ولم يكن بالقرب من هذا المكان عين ماء نستقي منها او هبة نسيم باردة ننتعش بها . كنا نسير قدماً نحو هدفنا وقد اخذ العطش منا كل مأخذ واعشوشت اعيننا من العثير . وسرح العرق غزيراً من تحت آباطنا . واوجعتنا

من المشي اقدامنا . فكنا نسير ونحن على هذه الحالة بشجاعة الآمل اليائس .

وبعد ان كدنا نيأس من رحمة الله ، إذ بمعالم «سن مارتينو لابلمه» تظهر علينا فجأة بوضوح تام . هــا هو برج الجرس الواطىء الثقيل ذو الاقواس المنفرجة تزينه هالة من النباتات الخضر .

— لقد وصلنا ، قالت امي .

— لقد وصلنا ، رددت انا . ولم نشعر الا والروح قد ردت الينا فكأنا الساعة قد خرجنا من بيتنا .

✡

ها قد بلغنا البوابة السوداء . كانت سوداء اما الآن فلا . لقد ابيضت . وهكذا كانت احذيتنا سوداء وابيضت الآن . وكان كل منا يمسك منديله بيده يلتقط به العرق المنصب من جبينه وحاجبيه وعينيه . كأن ينابيع تفجرت فجأة فينا .

اقتربنا من يافطة من الرخام وقد وضعت على الحائط بجانب الباب . وبعد التي واللتيا قرأنا فيها «خوري الرعية» . وكان بقربها مقبض من الحديد علاه الصدأ فكأن عهده باللمس متوغل في البعد .

فتح لنا خوري الرعية بنفسه ، وكدنا نحجم ونتراجع ، لقد اخافنا بمنظره ، لم يكن كالكهان الذين اعتدنا ان نراهم في المدينة ، انما صاحبنا كان يشبه الشيطان اذا سلمنا أن للشيطان شكلاً وهيئة ، وجه كوجه سكان القبور ، كثر فيه اثر الجدري وتوسطه انف كأنف العقاب ، وعينان زائغتان من محجريها ، ورأس تبعثر شعرها الاحمر في كل اتجاه ، ولم يكن يرتدي جبة ، قابلنا وعليه قميص عادي بلغ ركبتيه ، وسروال قصير ، وفي قدميه قبقاب بال لحست الارض اكثره ، ولحس من الارض ما شاء .

ما كاد يرى ارتباكنا حتى ارتبك هو ايضاً اكثر منا . ثم تشجع وجرنا الى الداخل وبعد ان حيا والدتي ببضع كلمات لا لون لها ، بدأ ينادي ويصرخ : ديرتشه ستيميا ديرتشه ستيميا .

ردد هذين الاسمين بلا انقطاع ، فكأنه يود ان تسبق الحروف صوته ، فكانت تخرج متدحرجة متعثرة . ولم يطمئن حتى رأى شبحاً يتحرك في الرواق المغمور بالعتمة ، وكانت هذه ديرتشه الشهيرة التي كنا ننتظر على يدها الخلاص .

حينئذ فقط بدأ الارتياح على وجه الكاهن المتغضن وتكلف ابتسامة ، فانفرجت شفتاه عن اسنان جد وسخة ، ثم استأذن بحركة بطيئة واسرع الخطى نحو رواق آخر حفت جوانبه

بالخزانات السوداء حيث تحفظ فيها صور للاموات، وقد علقت على الجدران صلبان طليت بالسواد ضمن اطارات هي ايضاً سوداء.

لم تكن ديرتشه حدباء، ومع ذلك فقد كانت مميزات الاحديداب مجتمعة فيها. وجهها مهزول، ورقبتها قصيرة غار اكثرها بين الكتفين المرتفعتين، حتى صوتها كان يوحي بانها حدباء.

كانت قصيرة القامة، جافة الاعضاء، تلبس كالفتيات الصغيرات قلنسوة بيضاء من القطن يخرج من تحتها وفوق جبهتها خصلة من الشعر المصفار الاغبر اشبه شيء بعيدان المقشات.

كان في لقائها لنا بعض الحرارة مما عوضنا بعض الشيء عما لاقيناه من برودة الخوري. وقد تلطفت وشملتني ببعض نظراتها التائهة. ثم فتحت فاها، ولا ادري بماذا اشبهه، وقالت بلهجة الجد، انني اشبه والدي كل الشبه. ثم تواضعت اكثر فقرصتني بخدي باصبعين ليس فيهما درهم من اللحم.

ادخلتنا الى غرفة تصان فيها الملابس وغيرها، فأحسسنا كأننا في ثلاجة بعد ما اجتزنا بذاك الجحيم الخارجي. وبعد هنيهة من مكوثنا، سمعنا اقداماً تجر على الارض بايقاع يخالف وقع اقدام ديرتشه. وما عتم ان اطلت علينا ستيميا بنصفها الشبه مشلول، وبوجه كأنه نذير الشؤم، هي اخت ديرتشه، واصغر منها سناً واطول قامة ولكنها على كل حال ابشع منها بمراحل.

كانت عيناها الحمراوان في فزع دائم، وقد انحرف فمها وتقلص، وكانت الشفتان من حوله ترق وتذوب من كثرة الصلاة، وليس في اسارير وجهها اي علامة من اللين والانس، فمثلها كمثل معلمات المدارس اللواتي افنين العمر فوق القمطر بصحبة الاطفال يتجولن بينهم «بتنوراتهن» السوداء الفضفاضة وقد تحجر في صدورهن كل شعور وعاطفة.. أو ما اشبه ستيميا برئيسة لدير من الراهبات بصقها الزمن في أروقته فأمضت العمر حانقة غاضبة.

بعد ان تبادل النسوة الثلاث حفنات من لطيف الكلام والاعتذار والاستفسار عن الصحة وبعض الاسئلة الفضولية، قدمت الاختان لنا، كأسين من النبيذ المقدس على زعمها، وما اشبهه بالخل العتيق الفاسد. ثم عدن الى الحديث.

ماذا؟ هل سنكتفي بهذا النزر القليل. تالله إني لم اتحمل مشاق هذه الرحلة، ووعثاء الطريق لامر تافه كهذا: كأسين من النبيذ الفاسد.. يا للسخرية. ولم انتبه الا على صوت ديرتشه وهي تدعو والدتي. — تعالي — قالت لها — تعالي الى الجنينة تحت هياكل الكرمة حيث الهواء عليل والحر قليل وسيسر الغلام ويتسلى.

لقد اجتزنا بهواً للاستقبال. وحجرة صغيرة، وبلغنا بوبية تطل على الجنينة. فخرجنا منها الى الجنة العجيبة التي ما فتئنا ننشدها منذ سنوات. ونذكرها وكلنا رغبة اليها. لقد سرت خلالها، ونبضات قلبي تزداد ضرباتها. اجتزتها كلها لألحق بوالدتي حيث استقرت ورفيقتاها تحت هيكل كرمة، بالقرب من السور العالي الذي يؤلف القسم الاكبر من الكنيسة. وقد تمددت فوقه بعض النباتات، ذات الازهار كالاجراس الصغيرة.

جلسنا في الظل. وحينئذ فقط تمكنت من القاء نظرات فاحصة على الجنينة. تلك التي غناها الركبان، ولهج بذكرها اللسان ووصفها كأنها صورة طبق الاصل مصغرة عن جنة الخلد غنينا محاسنها قبل ان نراها. وسال لعابنا لذكر اثمارها، فانتظرنا اليوم الموعود وقد جاء ويا له من يوم.

كانت الجنينة على شيء من الاتساع. فقد قطعت الى اشكال هندسية محكمة. تتخللها الممرات. وتظللها الاشجار، وتزين تلك الاشكال زهور عادية من حمراء وبرتقالية. وانواع من النباتات الاقزام الملتوية على ذاتها، ونبات العوسج، واخرى مثل ذلك وقد صفت اربعاً اربعاً.

اما الاسوار المحيطة بالجنينة فقد غطتها ايضاً انواع مختلفة من النباتات المتعرجة الصاعدة الهابطة، وافرع الكرمة المتمددة ذات العناقيد المتدلية. واوراق خضراء صغيرة وكبيرة ومن كل الاحجام.

كانت هذه البقعة من الجنينة جميلة وايم الحق، وحرام علي ان انكر ذلك.

ولقد كنت طيلة هذا الوقت ابحث عن الاشجار الغنية بشتى انواع الاثمار. اتخيلها متدلية بالوانها المغرية، ورياها الطيب وطعمها اللذيذ فتنة للنظر.

ولكن، واخيبتاه!. لقد بحثت وشددت النظر، وتطلعت الى علو، فلم اعثر على ضالتي. واتلعت بعنقي فعبثاً حاولت، لقد استطعت ان اخدع الفكر والخيال حتى الساعة، اما العين فكيف لي ان اخدعها الآن.

كان المطر قد انقطع منذ اكثر من اربعة اسابيع، فجفت الارض واصبح التراب ناعماً كالرماد، يرتفع في الفضاء لاول هبة ريح مما يزيد الجفاف جفافاً. وظهر في اوراق شجر الليمون

تلك الانتفاخات الصغيرة من اثر العطش ، وبدأت اوراق الاشجار الاخرى بالاصفرار كارهة ، وكذلك كان لاشتداد حر الظهيرة من كل يوم اثر في هذه الكارثة ، فتراخت عزائم اوراق الملفوف . ومالت رؤوس الخس الى الارض ، وبدا الاصفرار في اجزائها . وكانت اقراص البندورة تفترش الارض وقد انتفخت اوداجها واحمرت خدودها ولكنها حمرة فيها شيء من الوقاحة لا تشجع النفس المتواضعة على الاقتراب منها .

اما الفاكهة هذه الاثمار التي قدر لي ان اتذوق طعمها اللذيذ في الخيال ، فلم اتمكن من العثور لها على اثر ، اللهم الا بعض الدراق القاسية وقليل من التين وقد ذبل وتدلى عجزاً لا من نضوج .

لم يخف على ديرتشه ، وهي الاقل يبوسة من اختها ، قلقي وحيرتي وربما قرأت في وجهي خيبة الأمل فبدأت تختلق الاعاذير وتقول بان هذه السنة كارثة على جميع المواسم وداعية لليأس وانا اتينا في انحس الاوقات .

— تصوري — قالت لأمي — حتى البارحة كان لا يزال بعض الفاكهة من الخوخ الاصفر قد قطفها الخوري دُن بولس وارسلها الى الخوري كندالي . وقطفنا ايضاً كل الكرزات ، فلم يبق منها على الشجرة غير بضع كرزات عجفاء اعتصمت في اعلى الاغصان ، فاعيانا امرها فتركناها وشأنها .

اما الاجاص فقد اثر عليه الجفاف وبقي قاسياً جداً فلا تعمل به الا اسنان قدت من حديد . والدراق لم ينضج بعد ولم يرتد ثوبه الطبيعي وهو لا طعم له الآن . اما هذه العناقيد الكثيرة المتدلية فلا تزال اقرب الى الحصرم من العنب الناضج الطيب فهي تصلح للعصر لا للأكل والويل لمن يجرب ويضع حبة في فمه .

ولم يبق لك يا صغيري غير قليل من التين ، فدونك السلم واصعد وتسلَّ بقطفها ، ستكون مسروراً ان شاء الله . كلما شئت منها فانها كلها لك .

لأول مرة في حياتي اصعد الى شجرة ، وما كدت اصل بين تلك الاوراق الخشنة كالمبرد حتى بدأت اسرح نظري مدققاً علني اجد اخيراً في هذه التينة ولو نفحة من ريح الجنة التي طالما حلمت بها في النوم واليقظة .

اواه ، لم تكن هذه الثمرات من التين كما تصورتها يخرج منها العسل وتذوب حلاوة في الفم . كانت مصابة بفقر الدم ، وهي من الانواع التي تنضج قبل الاوان وعلى كره ، والمرجح ان الطيبات منها قد قطفت صباحاً لانه لا تزال اكمامها معلقة بالاغصان تنزف دماً ابيض . لقد استجمعت ما لدي من الشجاعة وبدأت آكل التين وليتني لم افعل ، كان طعمها لا ادري كيف اصفه ، يترك في الفم بعض البزور كحب الرمل ، كنت امضغها وعبثاً احاول ان ابتلعها ، فقد ابت علي ذلك ، وكاد فمي يشتعل من كثرة ما لاك ، وكادت ثورة الحُبة تنفجر فيه للمرارة التي احس بها على لساني وفي حلقي ، نزلت وفي قلبي جحيم متأجج وقد بلغ الحنق مني مبلغه ، والانحس من كل هذا اني كذبت وادعيت لتينك المرأتين انني راض مسرور .

اصبحت اعد الثواني لمغادرة هذه الجنة الملعونة هرباً من كل شيء فيها وعلى الاخص من اشجارها الضنينة باثمارها المريضة ثم رايت ان اطوف بتلك الاسوار علي اروح عن نفسي . فشاهدت بعض الدراق يلوح عليه النضوج ، فالتفت يميناً وشمالاً ، ولما لم اجد احداً يراقبني انقضضت كالصاعقة وقطفت واحدة منها . ولكن .. واخيبتاه !!! فقد اسأت الاختيار ، وكانت مزة خشبية فقذفتها من فوق السور ، كدت انفجر ، وقد ابيضت شفتاي وتقلصت ، وخفت على نفسي من الجنون ، فعدت مسرعاً الى جانب والدتي وكانت تهم بالنهوض وتستأذن للذهاب ، قالت ديرتشه والحماس باد في نبرات صوتها ، انه يعز عليها أن نعود الى دارنا بخفي حنين ، ثم تناولت سكيناً وبدأت تحصد بها قليلاً من الهندباء حتى حملت لنا منها باقة ، فلفتها بجريدة وناولتها الى والدتي وهي فرحانة . وقد حكم علي ان احمل هذه الصرة من حشائش الارض لا من ثمر الاشجار ولا من رياحين الازهار .

*

انتهت احلامي عن الجنة الموعودة واثمارها اليانعة الشهية ، ومائها السلسبيل وظلها الظليل ونسيمها العليل انتهى اكبر حلم في حياتي بحزمة من الهندباء لا تساوي درهمين ، اتأبطها والحياء يغالبني وكادت الدموع تطفر من عيني . كنت اشبه بالمتسول المتأبط كشكوله .

ولم تنبس امي وانا ببنت شفة طيلة الطريق ، كأن غراب البين يحوم فوق رأسينا . وكان بيني وبينها اتفاق صامت بالا نتكلم او نذكر بخير او شر تلك الرحلة المشؤومة التي اتعبتنا واذلتنا وخيبت آمالنا .

القينا بالهندباء في وعاء مليء بالماء لنبقي على رونقها . ولم يمد احد اليها يداً . فلقد تركناها للذكرى .

مصطفى آل عيال

الحرية والانسان

✶

الحرية :

انتظرني
سوف أجتاح البقاعْ
أيّ حلمٍ مطمئنٍّ
ذهبيّ الفيء ، ورديّ الشعاعْ
أغمر الأرض بأفراحي وأمني
فانتظرني

في يدي ،
كلّ اخضرار الأرض، كلّ العسجد،
في يدي
وبقلبي
كلّ ما للناس من عطف وحبّ
وبعيني
كل أنوار الغدِ
فانتظرني

أيها الانسان إني
لم أزلْ أذكر أبنائي الأنامْ
الجنَى والريُّ منّي
والسلام

فارو عني
نغمات الحبّ والفجر الأغنّ
وانتظرني

الانسان :

إيه أمّاه ! سئمت الانتظارا
ليلةً تعبى ، وقطعاناً حيارى
ورعاةً من نيام ، أو سكارى
كلما غنّيتهم ولوّا فرارا !!
إنهم يخشون لحني !!
إيه أماه ! سئمت الانتظارا !
هاكِ من روحي جناحا
لن يبارى
واصهري غُلّي سلاحا
يرجم الأوغاد نارا
وانسجي، امّاه، من جرحي شعارا
وارضعي منه الصباحا
ثم صبّي خمرة النور ، وغني
إيه اماه سئمت الانتظارا

بغداد — **محمد النقدي**

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم

✷

الباب الثامن

تابع الفصل الثاني – القسم الثالث : غيلان وجن

لو اردنا ان نثبت هنا الابيات المتفرقة التي يستدل منها على ما كان عليه العرب من العادات القديمة والمعتقدات ، ونشرح معنى هذه الابيات بالرجوع الى الخرافة التي تحملها وبسطها بالتفسير والايضاح لضاق بنا المقام المخصص لهذا الفصل ، وللتمثيل نذكر قول زهير :

نزل عنها وأوفى رأس مرقبة　　كمنصب العتر دمى رأسه النسك

ففي هذا البيت نحتاج الى الاسهاب في الحديث عن الانصاب وكيف كانت تنذر لها البُدن ، وتنحر عندها فتسيل دماؤها في نقرة تحت الآلة كغبغب العزّى ومناحر غيرها ، ثم كيف كان الكاهن يأخذ الدماء ويصبها على رأس النصب ، متطرقين الى الفلسفة من هذا العمل الاخير ، وكيف ان الآلة فيه يكون مكتفياً بروح الضحية او الدم الذي يهرق ، مشاركاً بذلك عباده بالضحية . وبذلك يكون كل بيت موضوعاً قائماً بذاته يحتاج الى بحث وتدقيق ، فعرض ونقد حتى نفي تلك العادة ، وذا المعتقد حقها من الدرس والتمحيص .

وكذلك القول في ترديدنا بيت ورقة بن نوفل :

كفى حزني كري عليه كأنه　　« لقى » بين ايدي الطائفين حريم

فتفسير اللقى وحدها وما تحمله من معان ، وما ترجعنا اليه من معتقدات ، لجدير بأن يكون موضوعاً مستقلاً . اذ اننا نحتاج الى الطواف حول الاصناف ، ومن ثم حول البيت لنبحث عن الاسباب التي ادت الى طواف بعض الرجال والنساء عراة حول الكعبة ، وعن الدوافع التي جعلت من قريش « حمسا » أهو الشعور الديني الخالص ، ام العامل الاقتصادي المستتر بأثواب ؟ كل ذلك يتمثل الى اعيننا حينا تقع على « اللقى » ، تلك الاثواب التي كان يرميها الطائفون ، ويطوفون عراة ان لم يحصلوا على ثياب من « الحمس » ، فتبقى ولا ينتفع بها ، ولا يمسها احد حتى تبلى من الشمس والامطار والرياح ووطء الاقدام .

وكذلك القول في بيت شداد بن الأسود :

يخبرنا الرسول بأن سنحيى　　وكيف حياة اصداء وهام (١) ؟

ومثله قول رجل من بني اسد :

اقيم على قبريكما لست بارحاً　　طوال الليالي او يجيب صداكما (٢)

او قول المرقم المعروف بابن الواقفية :

لا يمنعنك من بغاء　　الخير تعقيد التائم

ولا التشاؤم بالعطاس　　ولا التيمن بالمقاسم (٣)

ومثله قول ربيعة بن مقروم :

اصبح ربي في الامر يرشدني　　اذا نويت المسير والطلبا

لا سانح من سوانح الطير يثنيني　　ولا ناعب اذا نعبا (٤)

او قول طرفة :

اذا ما اردت الامر فامض لوجهه　　وخل الهوينا جانباً متنائيا

ولم يمنعك الطير مما اردته　　فقد خط في الالواح ما كنت لاقيا (٥)

وكذلك قول عمير بن قيس فاخراً بالنسأة على العرب .

ألسنا الناسئين على معد　　شهور الحل نجعلها حراماً ؟(٦)

والقول في الكهانة ، والعرافة ، وزجر الطير ، والطرق بالحصى ، وجز النواصي ، والوشم ، والخرزات ، والرقى ، والصدى والهامة ، كثير .

اما وان كنا سوف لا نتعرض لهذه المنثرات في بطون

---

(١) السيرة ص ٥٣١　(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٣٦٩

(٣) الحماسة للبحتري ص ٢٥٥　(٤) نفس المصدر ص ٢٥٧

(٥) نفس المصدر ص ٢٥٨　(٦) السيرة ص ٣١

الكتب ، والكثير منها مجموع في « بلوغ الارب في معرفة احوال العرب » فاننا سنذكر شيئاً مما جاء في الغيلان والجن وغيرها من الشياطين التي كانت توحي على السنة الشعراء ما يقولون!

ولقد ذكرنا الشيء الكثير من معتقدات العرب في الجن ، فلا بد ، اذاً ، من ان نسمع شيئاً آخر من اشعار العرب في هذه المخلوقات العجيبة .

ومما يجدر ذكره ان « سمث » — على ما يظهر — يخالف من يعتقد بأن فكرة الجن انما هي نتيجة احتكاك الاعراب بغيرهم من الامم المجاورة ، فهو يرى ان هذه التخيلات كانت قد تولدت في بلاد العرب نفسها بعد انفصال العرب عن سواهم من الساميين [١] . ولا عجب في ما يذهب اليه « سمث » ، فما الاعتقاد بالجن الا نتيجة خوف الاعراب واضطرابهم وتوحشهم في القفار والقيعان . وقد سبقنا الجاحظ الى مثل هذه الآراء ، فهو يقول في كتاب الحيوان : — « واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل . ثم جعلوا ما تصورلهم من ذلك شعراً تناشدوه واحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك ايماناً ، ونشأ عليه الناشىء ، وربي به الطفل ، فصار احدهم حين يتوسط الفيافي ، وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، عند اول وحشة او فزعة ، وعند صياح بوم ، ومجاوبة صدى ، يقول في ذلك من الشعر على حسب الصفة . فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة .

« ومما زادهم في هذا الباب واغراهم به ومد لهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا اعرابياً مثلهم ، والا غبياً لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ، ولم يسلك سبل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط . واما ان يلقوا راوية شعر ، او صاحب خبر ، فالراوية عندهم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اظرف عندهم ، وصارت روايته اغلب ومضاحيك احاديثه اكثر ، فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول او قتلها او مرافقتها او تزويجها ، وآخر يزعم انه رافق في مغارة نمراً فكان يطاعمه ويؤاكله » [٢] .

ولهذا يلاحظ اننا لا يمكننا ان نأخذ عن الجن صورة واضحة

(١) Robertson Smith: Religion of the Semites

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٨ — ٧٩

في اشعار العرب ، ولعل الغول اشهر هذه المخلوقات المتشيطنة في تلك الاشعار ، وقد اشتهرت باغتيالها وتلونها حتى اصبح الدهر عندهم غولاً ، والمنية غولاً ، والحوادث غولاً ، والسيف غولاً . ومما جاء في هذه المعاني قول امية بن ابي الصلت :

فاجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر ان للدهر غولا (١)

وقال أعشى بني قيس :

فما ميتة ان متها غير عاجز بعار اذا ما غالت النفس غولها (٢)

وقال طريف بن ابي وهب العبسي في رثاء ابنه :

وفي الارض للاقوام قبلك غول (٣)

وقال عدي بن زيد في رسالة ارسلها من سجن النعمان الى ابنه عمرو بن عدي :

الم يحزنك ان اباك عان وانت مغيب غالتك غول (٤)

وقال امرؤ القيس :

ألم يخبرك ان الدهر غول ختور العهد يلتقم الرجالا (٥)

وقال خال زهير بشامة بن الغدير :

ولا تقعدوا وبكم منة كفى بالحوادث المرء غولا (٦)

وقال جران العود :

فقلت ما لحمول الحي قد خفيت أكل طرفي ام غالتهم الغول ؟

وقال :

كالرمح اوقل في الكفين واطردت منه القناة وفيها لهذم غول (٧)

وقال كعب بن زهير في « بانت سعاد » التي وفد بها على الرسول تائباً مسلماً ، يصف خلته بتلون الغول :

فما تقوم على حال تقوم بها كما تلون في اثوابها الغول (٨)

ولقد شبهوا المرأة اذا كانت دميمة بالغول والسعلاة . قالوا ان السعلاة هي اخبث الغيلان ، واستسعلت المرأة اي صارت سعلاة اي صارت صخابة وبذيئة ! قال بعضهم :

لقد رأيت عجباً مذ امسا عجائزاً مثل السعالي خمسا
يأكلن ما اصنع همساً همسا لا ترك الله لهن ضرسا (٩)

وجمع جران العود بين الغول والسعلاة في بيت يشبه به

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص٢٢٦ (٢) الحماسة للبحتري ص٢٥

(٣) ديوان الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٤٥٠

(٤) تاريخ ابن واضح اليعقوبي ج ١ ص ٢٤٤

(٥) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤١ (٦) الحماسة للبحتري ص ٢٨ .

(٧) ديوان جران العود لابي سعد السكري ص ٣٦ و ٤١

(٨) تراجع القصيدة في السيرة ٨٨٩ — ٨٩٢

(٩) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب — لمحمود شكري الآلوسي ج ٢ ص ٣٢٨

زوجتيه من قصيدة يذكر فيها همه بزواجه فيقول :

لقد كان لي عن ضرتين عدمتني ... وعما الاقي منهما. متزحزح
هما الغول والسعلاة حلقي منهما ... مخدش ما بين التراقي مجرح (١)

وقال الاعشى :

ورجال قتلى بجنبي اريك ... ونساء كأنهن السعالي (٢)

اما الاشتر النخعي فقد شبه الخيل بالسعالي فقال :

ان لم اشق على ابن حرب غارة ... لم تخل يوماً من نهاب الانفس
خيلاً كأمثال السعالي شربـا ... تعدو ببيض في الكريهة شوس (٣)

ويقال ان عبيد بن ايوب كان من لصوص العرب ، وكان جوالاً في مجهول الارض . ولهذا يروون له اشعاراً في الجن والغيلان والسعالي كثيرة . فمن اقواله بذلك .

فلله در الغول اي رفيقة ... لصاحب قفر خائف متنفر
ارنت بلحن بعد لحن واوقدت ... حوالي نيراناً تلوح وتزهر

وقال :

علام ترى ليلى تعذب بالمنى ... اخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار خليل الغول بعد عداوة ... حفياً وربـة القفار البسابس

وقال :

تقول وقـد المت بالانس لمة ... مخضبة الاطراف خرس الخلاخل
اهذا خليل الغول والذئب والذي ... يهيم بربات الحجال الكواهل

وقال :

اقل بنو الأحسان حتى اغرتم ... على من يثير الجن وهي هجود (٤)

وقال :

وساحرة عيني لو ان عينها ... رأت ما الاقيه من الهول جنت
ابيت وسعلاة وغول بقفرة ... اذا الليل وارى الجن فيها ارنت (٥)

وفي عزيف الجن يقول جران العود :

حملن جران العود حتى وضعنه ... بعلياء في ارجائها الجن تعزف (٦)

ولعل ثابت بن جابر او تأبط شراً [٧] ، اشهر من قال الشعر في الغيلان من الاعراب ، حتى انه اشتق اسمه من كونه يلاقي الغيلان ويقتلها ويتأبط رؤوسها ويأتي بها الى الحي !! ولقـد « كان تأبط شراً يعدو على رجليه ، وكان فاتكا شديداً فيأتي ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحى بطان – في بلاد هذيل – فلقيته الغول [٨] . فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما اصبح حملها تحت ابطه وجاء اصحابه ، فقالوا له لقد تأبطت شراً » . [٩]

(١) ديوان جران العودص ٤ (٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٤٩
(٣) ديوان الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٤٨ – ٤٩
(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٥٠ – ٥١
(٥) بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٣٤٩ (٦) ديوان جران العود ص ١٩
(٧) راجع اخباره في الاغاني ج ١٨ ص ٢٠٩ – ٢١٨
(٨) الاغاني ج ١٨ ص ٢١٢ (٩) نفس المصدر ص ٢١٠

الاديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 : Tél.

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

سكرتير تحرير مكتب القاهرة : محمد يوسف نجم

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

وفي هذه الحادثة يقول :

الا من مبلغ فتيـــان فهم　　بما لاقيت عنــد رحى بطان
واني قد لقيت الغول تهوي　　بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضـــو اين　　اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهـوى　　لهـــا كفي بمصقول يماني
فاضربها بـلا دهش فخرت　　صريعـاً لليـدين وللجـران
فقالت عد فقلت لهـــا رويداً　　مكانك انني ثبت الجنان
فلم انفك متكئاً عليها　　لانظر مصبحاً ماذا دهاني
اذا عينان في رأس قبيح　　كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب　　وثوب من عباء او شنان (١)

وقال ايضاً يصف الغول ، ويذكر انه راودها عن نفسها فتمنعت عليه فقتلها :

وادهم قد جبت جلبابه　　كما اجتابت الكاعب الخيعلا
على اثر نار ينور بهـــا　　فبث لها مدبراً مقبلا (٢)
فاصبحت والغول لي جارة　　فيا جارتا انت ما اهولا
وطالبتها بضعهـــا فالتوت　　علي وحاولت ان افعلا (٣)

وفي الآلوسي :

. . . .　　فكان من الرأي ان تقتلا
فجللتها مرهفاً صارماً　　ابان المرافق والمفصلا
فطار بقحف ابنة الجن ذو　　شقاشق قد اخلق المحملا
فمن يك يسأل عن جارتي　　فان لها باللوى مـــنزلا
غطاءة ارض لها حلتان　　من ورق الطلح لم تغزلا
وكنت اذا ما هممت اهتبلت　　واحري اذا قلت ان افعلا (٤)

ويرى «سمث» بتأبط شراً رجلاً تاريخياً ، ويرى ايضاً ان هذه الحادثة ممكنة الوقوع ، غير انه يلاحظ من الابيات التي وصف تأبط شراً بها عدوه ان هذا العدو الذي ظنوه غولاً انما كان احدى الهررة الضارية (٥) .

اما الاعتقاد في الغيلان فلا يزال حياً الى اليوم ، وهو في الاماكن الموحشة ، والصحاري والقفار -- كما كان سابقاً -- اكثر منه في المساكن العامرة المأهولة . ولقد قال Doughty ان اعرابياً رسم له الغول (٦) في الحجر وحلف له انه رآها ، وان صوتها صوت المرأة تنادي اطفالها ، والغريب ان الاعتقاد القائل بتشكل الغيلان بكل الصور الا الرجل تبقى رجل بعير ، لا يزال اثره باقياً ، وقد ظهر هذا الاثر جلياً بالرسم الذي اثبته Doughty للغول في كتابه « Travels in Arabia Deserta ».

(١) الاغاني ج١٨ ص٢١٠　(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٣١٤
(٣) الاغاني ج١٨ ص٢١٠　(٤) بلوغ الارب للالوسي ج٢ ص ٣٤٤
(٥) ص ١٢٨ – ١٢٩ R.S. : Religion of the Semites
(٦) انظر الصورة في ج ١ ص ١٥٤ Ch. M. Doughty : Travels in Arabia Deserta, Cambridge 188

هذا ، واما ما قيل في الجن وعلى لسانها فكثير ايضاً . وذكرها الاعراب في اشعارهم ، مشيرين الى صلاتها وعلاقاتها مع بني البشر ، والى ركوبها مطايا غريبة من الحيوانات .

ولقد شبهوا الحسناوات بالجنيات ، واظن ان مثار هذا التشبيه هو الفتنة والسحر المنبعث من حسن الغواني ووسامتهن كما شبهوا الرجال بالجن ، وخصوصاً اذا قاموا باعمال جبارة عنيفة .

قال وضاح بن اسماعيل بن عبد كلال :

فانك لو رأيت الخيل تعدو　　عوابس يتخذن النقع ذيلا
رأيت على متون الخيل جنا　　تغير مغانما وتفيت نيلا (١)

وقال النابغة :

وهم زحفوا لغسان بزحف　　رحيب السرب ارعن مرجحن
بكل مجرب كالليث يسمو　　على اوصال ذيال رفن
وضمر كالقداح مسوقات　　عليها معشر اشباه جن (٢)

وقال ابو دهبل الجمحي في تشبيه حسناء بالجنية .

اقول والركب قد مالت عمائمهم　　وقد سقى القوم كأس النعسة السهر
يا ليت اني بأثوابي وراحلتي　　عبد لاهلك هـــذا الشهر مؤتجر
ان كان ذا قدراً يعطيك نافلة　　منا ويحرمنا ما انصف القدر
جنية او لها جن يعلمهـــا　　رمي القلوب بقوس ما لها وتر (٣)

اما صدى اعتقادهم بعزيف الجن وانهم يسمعون اصواتها فقد اشرنا اليه في بيت جران العود :

حلن جران العود حتى وضعنه　　بيهماء في ارجائها الجن تعزف

وفي هذا المعنى قال الراعي :

وداوية غبراء اكثر اهلها　　عزيف وبوم آخر الليل صائح

وجاء لذي الرمة :

ورمل لعزف الجن في عقداته　　هرير كتضراب المغنين في الطبل

وقال :

فلاة لصوت الجن في منكراتها　　هرير وللابواب فيها نوائح (٤)

وكنا أشرنا الى اعتقادهم بقتل الجن علقمة بن صفوان ، وامية ابن حرب ، وسعد بن عبادة وقول الجن بذلك شعراً (٥) . ومن قول الأعراب ان الجن تظهر لهم وتكلمهم الخ . . . ابيات لشمر ابن الحارث الضبي قال :

ونار قد حضأت بعيد وهن　　بدار لا اريد بها مقامـــا
سوى تحليل راحـــلة وعين　　اكالئها مخافة ان تنامـــا
أتوا ناري فقلت منون ؟ قالوا　　سراة الجن ! قلت عموا ظلاما
وقلت الى الطعام فقـــال منهم　　زعيم نحسد الانس الطعاما (٦)

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٦٦　(٢) العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين ص ٣١　(٣) ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٢٤–١٢٥
(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٥٤　(٥) تراجع في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص٦٣ – ٦٤　(٦) نفس المصدر ج ٦ ص ٦٠

وبهذا المعنى قال جذع بن سنان :

أتوا ناري فقلت منون انتم ؟
فقالوا الجن. قلت عموا صباحا

نزلت بشعب وادي الجن لما
رأيت الليل قد نشر الجناحا

اتيتهم وللأقدار حتم
تلاقي المرء صبحاً او رواحا

اتيتهم غريباً مستضيفاً
رأوا قتلي اذا فعلوا جناحا

اتوني سافرين فقلت اهلاً
رايت وجوههم وسما صباحا

نحرت لهم وقلت ألا هلموا
كلوا مما طهت لكم سماحا(١)

وقال على لسان الجن بعض الأعراب ذاكراً مطاياهم التي يركبونها في أسفارهم:

وكل المطايا قد ركبت فلم اجد
الذ وأشهى من مطايا الثعالب

ومن عنظوان صيفة شمرية
تخب برحليها امام الركائب

ومن جرذ سرح اليدين معرج
يقوم برحلي بين ايدي المراكب

ومن فأرة تزداد عتقا وجدة
تبرح بالخوص العتاق النجائب

ومن كل فتلاء الذراعين حرة
مدربة من عافيات الارانب

ومن ورل يعتام فضل زمانه
اضر به طول السرى في السباسب(٢)

وذكرهم على ألسنة الجن أشعاراً يسوقنا الى حديث الشياطين الذين كانوا ينطقون فحول الشعراء بالشعر . ومن طريف ما روى المعري في رسالة الغفران ان شيخه التقى بجني اسمه الخيتعور احد بني الشيصبان فسأله ، كعادته في رحلته السماوية ، عن أشعار الجن ، فقال : « وهل يعرف البشر من النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض؟! وانما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون قل ما يعدوها القائلون ، وان لنا لآلاف اوزان ما سمع بها الانس !! وانما كانت تخطر بهم اطيفال منا عارفون فتنفث اليهم مقدار الضوازة من أراك نعمان »(٣) .

فالجن ، اذاً ، كانت تقول الشعر وتلقيه على ألسنة الشعراء ، كما كانت تلقن القيان هوميروس فصيح الاشعار. والقيان هن المغنيات. كن في اعتقاد اليونان بنات زفس، ويقمن معه يطربن الآلهة . وكان الشعراء منهم يستوحوهن في انشادهم ، ويستمد المطربون عونهن في التلحين والتوقيع . فهن ربات الشعر واللحن والانشاد ، يخاطبهن هوميروس بصيغة الجمع تارة، وبالمفرد تارة اخرى. وقد يقول الالهة ويعني بها احداهن ولا يخفى ان كلمة « موسيقى » انما هي مشتقة من « موسا » وهو اسم القينة باليونانية(٤).

فالشاعر في الجاهليتين اليونانية والعربية كان يملك قوى علوية يستمد منها فن الشعر . ولهذا قالت قريش عن محمد أنه شاعر — كما ذكرنا ، وكما جاء في القرآن — وان لم يأت بشعر ، وانما ظناً منهم أنه ذو اتصال مباشر بأرواح علوية اعتبروها شياطين وتوابع ، وهي في عرف الغير ملائكة . وعلى كل فهي وحي خفي وصلة وثيقة بين النبي والله ، او بين الشاعر وما وراء الطبيعة . ولقد جاء في الكتاب الكريم :

(١) بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٣٥٢
(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٤
(٣) رسالة الغفران للمعري ج ١ ص ١٠٤
(٤) الياذة هوميروس تعريب سليمان البستاني. راجع الصفحات ١٧٩ و ٢٠٣ و ٢٨٨

« هل انبئكم على من تنزّل الشياطين ، تنزل على كل أفاك اثيم »[1].

هذا ، وزعمت الأعراب ان مع كل فحل من الشعراء شيطاناً من هذه الشياطين . فقد قال حسان :

ولي صاحب من بني الشيصبان فطوراً اقول وطوراً هوه(٢)

وقال الاعشى .

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له جهنام بعـدا للغوي المذمم

وقال راجز :

اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبو عني
فان شيطاني امير الجن يذهب بي في الشعركل فن(٣)

وافتخر احدهم بأن شيطانه ذكر فحل فقال :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر(٤)

وكثيراً ما تحكم الجن على الشعراء فتفضل واحداً على الآخر حدث بعضهم قال :

« بينما انا اسير في طريقي ببلقعة من الارض لا انيس بها اذ رُفعت لي نار فدفعت اليها ، فاذا بخيمة واذا بفنائها شيخ كبير ومعه صبية صغار . فسلمت ثم انخت راحلتي آنساً بهتلك الساعة ، فقلت هل من مبيت ؟ قال نعم في الرحب والسعة ! ثم القى الي طنفسة رحل فقعدت عليها ، ثم قال : ممن الرجل ؟ فقلت حميري شامي . قال نعم ! اهل الشرف القديم . ثم تحدثنا طويلا الى ان قلت : اتروي من اشعار العرب شيئاً ؟ قال نعم سل عن ايها شئت . قلت فانشدني للنابغة . قال اتحب ان انشدك من شعري انا ؟ قلت نعم. فانـدفع ينشد لامرىء القيس والنابغة وعبيد . ثم اندفع ينشد للأعشى . فقلت لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمان طويل ، قال للاعشى ؟ قلت نعم ، قال: فانا صاحبه ، قلت فما اسمك ؟ قال مسحل السكران بنجندل! فعرفت انه من الجن ، فبت ليلة الله بها عليم ، ثم قلت له : من اشعر العرب ؟ قال ارو قول لافظ بن لاحـظ ، وهياب ، وهبيد ، وهاذر بن ماهر ! قلت هذه اسماء لا اعرفها ، قال اجل ، اما لافظ فصاحب امرىء القيس ، واما هبيد فصاحب عبيد بن الابرص وبشر ، واما هاذر فصاحب زياد الذبياني ، وهو الذي استنبغـه ، ثم اسفر لي الصبح فمضيت وتركته »[1].

ونختم الحديث بقصة طريفة عن الاعشى ، وقد خرج يريد قيس بن معد يكرب بحضر موت ، فبينما هو في مسيره اضلّ الطريق ، فالتجأ الى خباء وقعت عليه عينه :

— ما شأنك ؟

— انا الاعشى . اقصد قيس بن معد يكرب .

— حياك الله : اظنك امتدحته بشعر ؟

— نعم . واندفع ينشد :

رحلت سمية غدوة اجمالهـا غضباً عليك فما تقول بدا لها ؟!

— حسبك. اهذه لك ؟ — نعم.

ومن سمية التي تنسب بها ؟

— لا اعرفها ، وانما هو اسم ألقي في روعي .

فنادي صاحب الخباء: يا سمية اخرجي! واذا بجارية خماسية قد خرجت وقالت: ما تريد يا أبت ؟ قال انشدي عمك قصيدتي التي امتدحت بها قيس بن معديكرب ، ونسبت بك في اولها. فانشدتها وأتت على آخرها .

ثم التفت للأعشى ، وقال :

— هل قلت شيئاً غير ذلك ؟

— نعم. قصيدة هجوت بها ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر.

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً ايها الرجل ؟!

— حسبك. من هريرة هذه ؟

— لا أعرفها. وسبيلها سبيل التي قبلها .

فنادى الرجل : يا هريرة ! فاذا جارية قريبـة السن من الاولى، فقال لها: أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر. فأنشدتها ، لم تنقص منها حرفاً واحداً .

وهنا يحتار الأعشى ، وتغشاه رعدة .

ويرى الشيخ ما نزل به ، فيقول له : ليفرخ روعك يا أبا بصير. انا هاجسك مسحل الذي يلقي عـلى لسانك الشعر ! فتسكن نفس الاعشى ، ويدله على الطريق فيمضي في سبيله[2].

هذا، ولم يكن لشعراء الجاهلية شياطينهم فحسب، وانما كان لشعراء الاسلام أيضاً كالفرزدق ، وجرير ، وبشار ، وغيرهم من الفحول .

محمود الحوت

---

(١) القرآن الكريم س ٢٦ اية ٢٢٢
(٢) بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٣٦٥
(٣) رسالة الغفران ج ٢ ص ٤٧٨ – ٤٧٩
(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٠

(١) جمهرة اشعار العرب للقرشي ص ٢٢ – ٢٢
(٢) بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٢٦٢ – ٣٦٨

نسيان

✷

أحقاً سننسى هوانا الكبير ؟ ونطوي زمان الهوى والوصال ؟
أكان اللقاء لقاء أخير توارى وأمسى وليد الخيال ؟
أحقاً سنقبر أحلامنا بهوّة أمس عميق الظلال ؟
ونمضي بحيرة أوهامنا نشيد عليها بناء المحال ؟
أحقاً سننجو من العاطفات إذا ما التقينا لقىً عابره ؟
فلا رعشة بين أعطافنا تؤجج هوًى ومنىً ثائره
ولا نظرة من سنا الذكريات تشعشع في الصور الحاضره
ولا قطرة من دموع الهوى نروّي بها المهج الحائره ؟
أجرّ خطاي وئيداً .. وئيداً وفي مقلتيّ ظلال السكون
وأبسط نحوك يا شاعري يداً سبقتك الى الحاضرين
وطيف ابتسام على شفتيّ ثقيل الظلال ، شحيح ، ضنين
وفي حركاتي جمود الخليّ فلا من شعور ، ولا من حنين ؟
وتبسط أنت يداً دفأتها ثنيات جيب بجوف الرداء
وتنفث من عمق سيجارة دخاناً يجوب عنان الفضاء
وتمضي تسائل بعض الرفاق « ترى من تكون ؟ » فيا للغباء !
كأنيَ لم أك فيما مضى لديك الضياء ، وطيف الرجاء !
أحقاً سنمضي لهذا المصير ؟ وتقتادنا القوّة الحاكمه ؟
وكيف نعيش وكيف نسير وفي مقلتينا الدجى الغاشمه ؟
وكيف ستفزع منا الطيور وكنا لها الربوة الباسمه
وكيف نغنّي بغير شعور يعطر أشعارنا الناسمه ؟
أجل سوف ننسى بآهاته هواك الكبير ! هواي الكبير !
سنحيا بقلب يضم المنى بألف حنين ، وألف شعور
ولكنّ مثليَ لن يستريح ومثلك لن يعتريه السرور
لأنّا سنغدو بنسياننا بقايا وجود عفتها القبور

القاهرة — جليلة رضا

تخويف الطفل

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

نحار بعض الامهات في معاملة اطفالهن عندما يقبلون على البكاء بطريقة مستمرة ، وكثيراً ما تلجأ بعضهن الى طريقة التخويف سواء باستعمال الاصوات المزعجة او باظهار صور قبيحة المنظر مثيرة للرعب . ويحدث ان الطفل يسكت ويكف عن البكاء في تلك اللحظة ليقبل على البكاء في وقت آخر بدافع الخوف من الصور والاصوات المزعجة التي تعود تخيلها بسهولة عن طريق الترابط .

وبطريقة التخويف نسكت الطفل ، ولكننا نسكته بصدمة تترك اثراً اخطر من انفعال الغضب . وفي الغالب تختار الأم طرقاً مخيفة بدرجة لا توافق قوة اعصاب الطفل فيتعرض لاضطرابات عصبية ونفسية . وفي دراسات التحليل النفسي وجدنا ان الخوف اكثر الانفعالات انتشاراً وسيطرة على النفوس . وذلك راجع اولاً الى انفعال الخوف الطبيعي الذي يحمي الحياة ويحافظ عليها من الاخطار الطبيعية .

وباستعمال الخوف في التربية نقوي الخوف ونجعله يسيطر على الانفعالات الاخرى طول الحياة . فالطفل ضعيف البنية واعصابه غير مترابطة ويكون في حالة سلبية تجعله يستجيب بانفعال شبيه بانفعال الخوف حتى اذا كان الصوت — او الحركة — غير مضر فانه يستجيب بحركة انكماش يدافع بها عن نفسه . فكل تهديد صوتي او حركي يأتي من الاهل يعرض الطفل الى هذا الانكماش الذي يترك اثراً واضحاً في التركيب وفي الوظائف الفسيولوجية .

ويجب ان نذكر ان الطفل متعلق بطبيعة حالته الغذائية بامه وهو يلجأ اليها فاراً من الجوع ، فعندما تقوم الام بعملية التهديد والتخويف فانه يفر منها اليها . وهذا الموقف الشاذ من الام يوقع الطفل في حيرة وبلبلة تؤثر على وحدة شخصيته فيما بعد . والطفل لا يميز جيداً بين المواقف المعقدة التي تقفها الام : اذ تخفي حبها مرة وتظهره مرة اخرى ، تغذيه وتضربه في نفس الوقت . فلنتصور حالتنا نحن مع شخص يعطينا ما نريده ويغدق علينا النعم ثم ينقلب فجأة مهدداً مخيفاً ؛ ونحن نتألم اشد الالم عندما يأتينا التهديد من شخص ائتمناه على انفسنا وسلمنا امرنا اليه وعولنا عليه كل التعويل في الحياة .

واذكر بهذه المناسبة حالة شاب اصيب بتردد خطير في كل افعاله وكان يقف دائماً موقف الحائر لا يستطيع انجاز اي عمل رغم قدرته التامة على القيام بالفعل المطلوب ، وضاقت الدنيا في وجه هذا الشاب ولم يجد اي حل لمشكلته التي عرضته آخر الامر الى ازمات نفسية شديدة . وبعد التحليل الدقيق وجدنا ان امه كانت عصبية ولم تكن قادرة على تربية طفل وكانت عصبيتها في بعض الاحيان تدفعها الى ايذائه ، فصار يخافها وفي نفس الوقت كانت تعامله كأم فيما يتصل بالغذاء والنظافة والعلاج ، فكان الطفل يشعر بموقفين متناقضين تمام التناقض بالنسبة اليه . وهذا التناقض يحدث اتجاهين في النشاط وهذا هو السبب الاصلي للازدواج الذي نلاحظه في اغلب الناس وتضارب الميول المتناقضة نحو الخير ونحو الشر . هذا الازدواج يضعف الطاقة النفسية في الميدان الذهني ويحدث السرحان والذهول والضعف في التركيز . فاغلب الاطفال الذين كانوا ضحية هذا التضارب في المعاملة يكونون ضعافاً في قدرتهم على التحصيل .

ويحاول الآباء ان يضغطوا على الطفل ويستعملوا في نفس الوقت طرق التهديد والتخويف التي كانت سبب الداء وهكذا يقع اغلبنا في موقف مضحك : يحاربون داء بشكل يسبب الداء نفسه بدلاً من ان يسعوا سعياً جدياً في القضاء على الازدواج النفسي والتشتت الذهني وما ينتج عنها من ضعف في التركيز وضياع في الذاكرة . وفي مثل هذه الحالات يجب فوراً على الآباء ان يوحدوا اتجاهاتهم نحو اولادهم فاما قسوة واما لين . واللين افيد لانه يمكّن الطفل من تجنب الانفعال ويعطيه فرصة الهدوء الذي يساعد الاعصاب على الترابط . ولنعلم ان لا ارادة بدون قدرة على ضبط الاعصاب .

وعلى هذا الاساس يمكن للأمهات ان يعلمن انه بدلا من البناء ، يتعرض الطفل الى هـدم الطبيعة ان هن استعملن التخويف والتهديد . فزيادة على خطر الازدواج في الشخصية يمكن للخوف ان يكمن في نفس الطفل ويتربى معه مختفياً في اللاشعور ويحاول بعد ذلك ان يظهر في صورة مبهمة . وبعد عدة مرات يتعرض فيها الشخص الى هذا الشعور الغريب من الخوف المبهم فانه يخاف على قواه العقلية ويحاول مجتهداً ان يجد له سبباً ، وفي الغالب يتوهم الشخص اي سبب يمكنه ان

الاقتصاد اساس المدنية

بقلم الدكتور أحمد زكي ابو شادي
استاذ الادب العربي بمعهد آسيا في نيويورك

°°°

من المتع الذهنية الشائعة قراءة القصص الخيالية المفعمة بالمبالغات، وبينها ما يتخذ صبغة السريالية بينما البعض الآخر يتسم بسمة العلم الظاهري، في حين ان دراسة التاريخ المقارن تزود من يعنون بها بمتع اجل وتبصرهم بحقائق جد مشوقة تكاد تكون اغرب من الخيال وقد تكون كذلك احياناً .

ومن هذه الحقائق التي يطلعنا عليها التاريخ في امم شتى دعامة الاقتصاد للمدنية ، فالروح الاقتصادية هي التي نبهت قدماء المصريين الى الحفاوة بالزراعة وادت الى نشوء المدنية الزراعية ، وهي التي خلقت الحرف فيما بعد ، وهي التي مهدت لنشوء الصناعات الكبرى على ثلاث دعائم من الحديد والفحم والكهرباء في القرن التاسع عشر فابدعت المدنية الصناعية الحاضرة . والمدنية الناجحة المستمرة هي التي يحميها التوازن الاقتصادي وما يتفرع عنه من رخاء ومنعة ووعي انساني. فاذا ضاع هذا التوازن وتدهور الاقتصاد وانحط مستوى المعيشة وتفشت المجاعات فسدت المدنية وشغل الناس بما يقوم بأودهم عما عداه ، وحينئذ يختل الحكم ومقاييس الحياة ، ولا يصبح للثقافة ولكل ما يصون المدنية من العوامل والعناصر الرفيعة اي اعتبار .

ولا ريب ان مدنية الشرق الاوسط بل العالم العربي كانت وما زالت زراعية في اساسها الاقتصادي ، وكلٌ من الاقتصاد الزراعي والصناعي على السواء وثيق الصلة بالاقتصاد التجاري، فهو متمم لها وعامل فعال في تدعيم المدنية لا عن طريق الاقتصاد فحسب بل عن طريق التبادل للمعرفة ايضاً .

جالت في ذهننا هذه الخواطر ونحن نتأمل نماذج من ادبنا الاقتصادي الحديث ككتاب (القطن في خمسين عاماً) للدكتور يوسف نحاس وكمجلة (الاقتصاد العربي) التي يصدرها اسبوعياً عن دمشق بخمس لغات الدكتور سعيد فتاح الامام، وكجريدة (الاهرام الاقتصادية) ومجلة (الاقتصاد المحاسبة) — مجلة «نادى التجارة» بالقاهرة — التي يرئس تحريرها الاستاذ احمد عنان، وهما تصدران عن مدينة القاهرة وعليها نتبين المسحة الادبية التي يسبغها عليها الاديب المصري الجهير الاستاذ وديع فلسطين، كما كان يصنع خليل مطران في ادبياته الاقتصادية بالتعاون مع رجال الاقتصاد المصري وكان في مقدمتهم الدكتور يوسف نحاس.

إن الاهتمام الحصيف بالشؤون الاقتصادية في العالم العربي ظاهرة طيبة تدل على وعي جديد قوامه الايمان بخطورة الاستقلال الاقتصادي ، وبارتباط الاستغلال الاقتصادي على نهج ديمقراطي

يخيف ليجيب عن سؤاله الداخلي : مم انا خائف ؟ ويكون الجواب دائماً بالاتجاه نحو الخوف من الموت . ويتجلى هذا الخوف ويسيطر سيطرة قوية لدرجة ان يصل الى الرعب . ثم تتعقد الحالة اذ يصل الشخص الى الخوف من الخوف، والخوف من الامراض المختلفة مهما كانت غريبة وبعيدة الاحتمال .

والضرر الاكبر لهذا الخوف الناتج عن سوء التربية يتلخص في التعارض الخطير الذي يحدث بين العقل وبين الشعور بالخوف لان الشعور بالخوف واضح، والعقل يحاول ان يبرر هذا الشعور فينحرف قليلاً عن الاصول المنطقية ويسير في تيار الشعور . وبناء على هذا الخضوع يسلك الشخص سلوكاً معيناً ، اي ان الافعال بدورها تتأثر بحالة الخوف ويتجه الشخص اتجاهات معينة ليقضي على خوفه : فانه يذهب للاطباء ليقنعهم ان قلبه مريض وان جسمه معرض لكل الاخطار ويلح في طلب الانقاذ.

وفي حالة ما يرفض العقل ان يخضع للشعور بالخوف ولا يوافق على التبريرات المخترعة لتعليل وجود الشعور بالخوف المكبوت منذ الطفولة فان الشخص يتعرض لأعنف الآلام في صورة صداع وتوتر في الجسم كله وتقلصات في المعدة والامعاء ويسيطر الامساك بصفة خاصة ، كما ان العقل يصاب بخمول من تأثير رغبة الهروب من مشكلة الشعور بالخوف ومن تأثير التخدير الناشىء عن تعفن الاكل في الامعاء القابضة وقد تشتد الحالة ويحدث تقلص في الاعصاب المعصرة ويتعطل البول وهنا يشتد الخطر على الحياة. كل هذا واكثر من الاضطرابات النفسية والجسمية والاجتماعية ينشأ عن تخويف الاطفال في الوقت الذي يمكننا فيه ان نستبدل بهذه الاضطرابات الخطيرة نظاماً بديعاً في السلوك وهدوءاً تاماً في الاعصاب لو عاملنا الطفل كطفل وتحملنا نزواته وحاولنا توجيهه نحو الهدوء والاطمئنان بالحيلة اللطيفة تاركين تماماً الضغط القاسي والاخضاع السريع بسلاح الخوف المميت .

القاهرة

ابو مدين الشافعي

برخاء الشعب وبتقدمه الموفق في مضمار المدنية . ولقد انتهى عهد السياسة الكلامية في الشرق الاوسط خاصة وصارت الحكومة الناجحة والاحزاب الفائزة هي تلك التي تنجح نجاحاً اكيداً في خططها الاقتصادية ؛ ومن اقرب الشواهد على ذلك نجاح الحزب الديمقراطي في تركيا نجاحاً شاملاً في الانتخابات العامة سنة ١٩٥٤ نتيجة لمآثره الاقتصادية التي انتفعت بها جميع الطبقات فذاقت من الرخاء في اربع سنوات ما لم تذق مثله من قبل .

ونحن نحيي باحترام اسماء اللامعين العاملين للنهضات الاقتصادية . وتطالعنا في مصر اسماء من مهدوا للحركة التعاونية او عملوا على تحقيقها كعمر لطفي وابراهيم رشاد واحمد حسين (سفير الجمهورية المصرية بوشنطن) ، ومن عملوا للنهضة الصناعية والمالية كاسماعيل صدقي وطلعت حرب واحمد عبود وحسن نشأت وسابا حبشي ، ومن خدموا النهضة الزراعية والصناعات الزراعية كحافظ حسن ومحمود فهمي وبطرس باسيلي وبعض رجال النقابة الزراعية المصرية العامة ، وفي مقدمتهم الدكتور يوسف نحاس ، وقد تتبعنا جهوده لرعاية مصالح الشعب المصري نصف قرن بل اكثر فرأينا كيف تتحالف النزاهة والحصافة لخدمة المثالية الشريفة . وكتابه (القطن في خمسين عاماً) سجل ذهبي للمواقف الشريفة التي وقفها ووقفتها معه النقابة الزراعية المصرية العامة للدفاع عن اهم محصول زراعي مصري كان ولا يزال عماد ثروتها الاقتصادية . قال في كلمة تصديره

« وما اقدمت على اخراج هذا السفر الا نزولاً على رغبة صفوة من اصدقائي الذين الحوا في انه من المفيد ان يقف المعنيون بشؤون القطن على تاريخ الاحداث التي وقعت في غضون هذه الحقبة الطويلة وعلى ما اقترحت لها من علاجات تخصصت لدراستها منذ سنة ١٩٠٠ ، فكثيراً ما صادفت آذاناً مصغية عند رجالنا المسؤولين واحدثت آثارها الطيبة في اقتصادنا القومي كما يجد فيها كل باحث ومهتم بشؤون القطن (عماد ثروتنا الاقتصادية) مادة تبصر الى ما ارتكب من خطأ وما الم من ضائقات وما اكتوى به الفلاح من ارزاء » .

ثم قال بعد ان اشار الى اكتفائه باختيار نماذج مما اذاعه في مدة نصف قرن : « واذا ادى هذا السفر ما ارجوه منه لأهل الذكر ولرجال الحكم فاكون قد اسهمت بقدر استطاعتي في ارساء حياتنا الاقتصادية التي اضرع الى الله جل وعلا ان تنمو وتزدهر في هذا العهد الجديد ، عهد الحرية والانطلاق والتحلل من ربقة الاهواء والمطامع » .

وليس هذا فحسب — فيوسف نحاس الشامخ الخلق والوطنية والاقتصادي الحاذق يفهم فهماً ابلغ من مراجعة مذكراته المطبوعة ثم من الاطلاع على كتابه (الفلاح – حالته الاقتصادية والاجتماعية) الذي ظهر اولاً في اللغة الفرنسوية سنة ١٩٠١ ثم ساعد على نقله الى العربية في اسلوب جميل الشاعر الكبير خليل مطران سنة ١٩٢٧ وقدم له قاضي قضاة مصر الاسبق عبد العزيز فهمي .

لقد اشرنا الى اسماء بعض الرواد وبينهم من لا نرضى عن سياسته وتصرفاته الاخرى ، ولكننا نذكر اسم يوسف نحاس وحواريه وديع فلسطين دون تحفظ . ثم نقول اذا كانت روح الماهد المصلح تعنينا فعنينا مثلها الثبات على المبدأ ، وهذا مثل رفيع لرجل تفانى في معتقده تفانياً تاماً ووهب حياته لخدمة الاقتصاد الزراعي وتبصير ولاة الامور في مصر والرأي العام بالحقائق ووقف الى جانب الفلاح المصري طول حياته ، فكان بذلك قدوة صالحة في مصر وسواها من الاقطار العربية .

إن كتاب (القطن في خمسين عاماً) معرض جليل للتفكير الناضج والخبرة الواسعة والوطنية الحقة ، كما انه معرض حي للادب الاقتصادي . ومع اننا صاحبنا الكثير من فصوله حينما كانت تظهر في الصحف لسنين خلت ، الا اننا استمتعنا ادبياً استمتاعاً جديداً بمعاودة الاطلاع عليها ، ومن خيرها « ضحوا بشطر من مرتباتكم ايها الوزراء » و« قليلاً من الحياء » و« ضياع ثروة مصر بين الحكومة والامة » . وليس هذا الكتاب في الحقيقة خاصاً بمصر وحدها ، فان ما فيه من العبر الاقتصادية والاخلاقية وغيرها من قلم انسان حر غيور تجعله اهلاً للاقبال عليه حيثما زرع القطن وحيثما احتاج الناس الى زعيم اقتصادي والى مرب معاً ، وما اكثر الحاجة اليه في الاقطار التي لم تستكمل بعد نموها الاقتصادي .

وبعد ، فأنسب ما نختم به الحديث عن هذا الرجل العظيم وعن رسالته التي تعنينا قول خليل مطران في منهاجه واقتناعه « ان افضل خدمة يتسنى بها احياء آمال الامة في حاضرها واعادتها الى المجد الذي عرفته في غابرها هي الخدمة الاقتصادية من جميع وجوهها ، ملتزماً تلك الخدمة في حدود واسعة قد تتناول آناً بعد آن السياسة والاجتماع ولكن عن عرض مواصلا عناءه كلما دعا داعي النصيحة لتنبيه الاذهان ، او داعي الواجب الى الاستصراخ لدرء خطر او داعي التفدية الى مناوأة حكومة عاتية للحيلولة دون امر قد تكون فيه التهلكة لمرافق الجمهور » .

نيويورك — احمد زكي ابو شادي

بم تحلمون ؟

الى السيدة هـ. س.

✳

بم تحلمون
يا ايها المتسكعون
الجائعون المتعبون
اجفانكم فيها ابتهال
وعلى شفاهكم سؤال
وعلى الجباه الصفر
شيء لا يقال
بم تحلمون

يا ايها النفر الجياع
المدلجون بلا ضياء
العابرون على السهوب
بلا متاع
بم تحلمون

يا ايها الراعي الكئيب
المستظل على الكثيب
اطفالك الزغب الهزال
الهائمون على الرمال
بم يحلمون

يا ايها المتململون
الساخطون على التراب
الضارعون الى الضباب
المقتفون خطى السراب
بم تحلمون

هذا الثرى
ظل وماء
خبز الجياع
الضارعين الى السماء
الخائفين على الدماء
حلم الرجال
الكادحين
بلا ملال
الناحتين من الصخور
بيوتهم ومن الجبال
يا ايها المتسكعون
الجائعون المتعبون
بم تحلمون

ناصر أبو مجد

في كلمات ...

● يقول مديرو الدوائر الطبية في شركات التأمين على الحياة بنيويورك ان الاشخاص الذين اجريت لهم عمليات ناجحة لمرض السرطان قد اكملوا حياتهم بصورة طبيعية ولم يزد معدل الوفيات بينهم. واوضح المديرون ايضاً انه لم يعرف اي نوع من السرطان ينتقل الى الآخرين بطريق العدوى او الوراثة .

● استطاع بعض العلماء الامريكيين انتاج عقار جديد مستخرج من البصل وقد ثبت انه يشفي امراض الالتهاب الرئوي والحمى القرمزية وبعض الجروح . ويقول هؤلاء العلماء ان البصل يحتوي على كمية وافرة من المواد التي تفوق في تأثيرها البنسلين والاوريومايسين وغيرهما من العقاقير الجديدة التي تفتك بالجراثيم .

● اكتشف علاج جديد يدعى نار كوتين لمعالجة السعال بنجاح تام . ويستخرج هذا العلاج من مادة كيميائية من الافيون عرفت منذ اكثر من قرن ولكنها كانت تعتبر قبل الآن بانها بدون فائدة، وقد اكتشفت فائدة النار كوتين في ايقاف السعال في دراسات الحيوان بمعهد مرك لابحاث العلاجات الطبية ثم قام علماء كلية الطب في جامعة هارفارد باجراء تجارب في تأثيره على الانسان .

● اعلن الدكتور جان لاتمير بنيويورك ان سل الكلية الذي قد يحصل في المرضى الذين يصابون بسل الرئة يمكن الان القضاء عليه بنجاح بمزيج من علاج ستربتومايسين وايزونيازيد .

● نجح احد العلماء الانكليز في استخراج دواء جديد من مادة (الكورار) السامة التي كان الهنود الحمر يضعونها على رؤوس حرابهم ليقتلوا بها اعداءهم ...

والدواء المستخرج من هذا السم القاتل ، يستخدم لعلاج امراض ضغط الدم ، واضطرابات المرارة ، وبعض الامراض العصبية. وتستخرج مادة الكورار من بعض الاشجار التي تنمو في المناطق الاستوائية ، وهي تقتل ضحاياها في خلال عشرين دقيقة من اصابتهم بها . وذلك عن طريق شل الجهاز العصبي .

● اعلن طبيبان من جامعة اموري بجورجيا عن عقار جديد يستخرج من اوراق شجيرة الدفلي ويساعد على ضبط ضغط الدم في الانسان، وهذا العقار المسمى اندروميدوتكسين هو ذو فعالية كبرى في تخفيض ضغط الدم في الحيوانات .

● يقول الدكتور هارولد غايل عضو جمعية اطباء الاسنان الامريكية ان استخدام مادة فلوريد في المياه هو افضل وسيلة ابتكرت حتى الان لمنع تفتت الاسنان . وقد اثبتت التجارب ان معدل تفتت الاسنان قد انخفض ٦٠ بالمئة بين الذين يستخدمون الفلوريد في الماء .

● ابتكر الدكتور جورج هوبت من مركز جيفرسن الطبي جهازاً جديداً للاشراف بصورة اوتوماتيكية على تنفس المريض اثناء العمليات الجراحية . ويقول الدكتور هوبت ان الجهاز الذي ابتكره وهو بشكل رئة اصطناعية يمكن استخدامه في اي نوع من العمليات وبصورة خاصة عمليات الصدر .

● استطاع اثنان من العلماء الشبان في السويد ان يصلا الى اكتشاف مادة جديدة سيكون لها اعظم الاثر في انقاذ حياة الالوف من المرضى والمصابين الذين كانوا يلاقون حتفهم بسبب الحاجة الى الدماء . فقد تمكن هذان العالمان من انتاج نوع من بلازما الدم الصناعي المستخرج من محلول سكر البنجر ، تبين من التجارب انه يصلح تماماً ليحل محل الدماء البشرية .

وقد بدأت قصة هذا الكشف المظيم بطريق المصادفة البحتة . اذ طلب معهد الابحاث في ايسالا على مقربة من ستوكهلم موافاته بشحنة من عصير سكر البنجر لاستخدامها في بعض ابحاثه واستخراج بعض المواد الطبية منها ،. وفي خلال شحن الكمية المطلوبة من جنوب السويد في طريقها الى المعهد تسلل اليها بعض انواع من البكتريا ، التي وجدت في العصير مجالا لنشاطها فاخذت تنمو وتتوالد .. وعندما وصلت الشحنة اخيراً الى مقر معهد الابحاث كانت قد اصبحت في حالة ابعد ما تكون عن الحالة التي كان المعهد يتوقعها .

واتجه الرأي الى التخلص من هذه الشحنة الفاسدة ، ولكن اثنين من العلماء الشبان عكفا على اجراء بعض الابحاث على هذا المحلول السكري حتى تمكنا من اكتشاف ان لهذا المحلول كثيراً من الصفات التي تماثل صفات بلازما الدم ، وانه يمكن ان يحل محل الدماء التي تسري في عروق الانسان والحيوان على السواء .

وبعد سلسلة من التجارب استطاع العالمان ان يحيلا شحنة سكر البنجر الفاسدة الى مركب دموي اطلقا عليه اسم (مكرودكس).ودلت التجارب على ان الدم المستخرج بهذه الطريقة أصلح للمصابين في حوادث الاصطدام العنيفة ، والمصابين بالطلقات النارية وشظايا القنابل ،والحروق الشديدة وعقب العمليات الجراحية الخطيرة،وكان مجرد ادخال هذا الدم الصناعي الى شرايين المصاب كفيلا باحداث المعجزات وانقاذ الارواح .

● صرح الدكتور بن ستوواريا الاستاذ بكلية الطب بجامعة وشنطن ان تنظيف الاذن من الصماخ الذي تفرزه يؤدي في الغالب الى اصابتها بكثير من الامراض ، فان هذا الافراز الشمعي الذي تفرزه الاجزاء الداخلية للاذن يتكفل بحمايتها من كثير من الجراثيم والميكروبات التي تسبح في الجو . وذكر ان اكثر الاضطرابات التي تعانيها الاذن انما تنتج عن نقص في افراز هذا الصماخ .

● تقول منظمة الصحة العالمية في تقريرها الاخير ان معدل الوفيات في العالم من داء السل يستمر في الهبوط منذ العام الماضي . ويشير التقرير الى ان معدل الوفيات بهذا المرض قد نقص ٨٠ بالمئة خلال السنوات الخمسين الماضية .

● تمكن العلماء من اكتشاف الاسباب التي ينجم عنها مرض يعتبر اخطر المشكلات التي اعيت الطب وحيرت العلماء ويكثر انتشار هذا المرض في المنطقة المحيطة بجزء بحيرة فكتوريا في كينيا . وهو « انكو سيركياس » ولكن الاسم الذي اصبح معروفاً به هو « عمى النهر » وهو ينشأ عن دويدة صغيرة جداً لا ترى الا بالمجهر ،وتنقلها ذبابة الى جسم الانسان حيث تعيش تحت جلده وتتكاثر فينجم عنها عادة عمى جزئي او كلي ، واكثر ضحاياها من متوسطي الاعمار. وقد ثبت بعد ابحاث دقيقة انه يمكن ابادة الذبابة ومقاومة هذا المرض الفتاك،وقد اكتشف مساعد ماكاهون العالم المشهور ان بعض الحيوانات البحرية تحمل جراثيم هذا المرض وذبابه وينتظر ان يتم القضاء على هذه الحشرة الخطرة في خلال عامين بمقاطعة نيانزا

تماماً من العضو المصاب. ومما يؤسف له ان الكثيرين من المرضى تأخذهم موجة من القنوط والاستهتار بالحياة وبذلك يساعدون على تسرب هذا المرض الخبيث الى بقية اعضاء الجسد القابلة وبالتالي يصبح شفاؤهم من الامور الصعبة جداً ولكن من بين الوسائل الجديدة المستعملة حمل المريض على التغلب على هذه الانفعالات النفسانية وبعث امل جديد في نفسه من شأنه تسهيل محاربته داخلياً لهذا المرض الفتاك .

● اعلنت منظمة الصحة العالمية ان حملة مكافحة التيفوس في منطقة كابول عاصمة افغانستان قد نجحت مئة بالمئة هذه السنة ولم تسجل اية اصابة في هذا المرض في العاصمة رغماً عن ان التيفوس كان يفتك بآلاف الناس سنوياً .

● هل انت واحد من الملايين الذين يتولاهم الفزع والخوف كلما اقتربوا من مقعد طبيب الاسنان ؟.. وان كنت منهم ، فان علاجك من هذا الخوف لن يكلفك اكثر من ثمن قرصين صغيرين من الهواء الجديد الذي اطلق عليه اسم « اوبايفون » ، والذي اجريت به التجارب على ٧٠٠ شخص في مستشفيات لندن ، فاثبت انه حاسم في ازالة الخوف من قلوب مرضى الاسنان وان من يتناوله قبل اجراء العمليات الجراحية في فمه ، لا يحس بأدنى خوف اثناء اجراء العملية بل انه على العكس يكثر من الضحك والمرح .

وهذا الدواء الجديد انتجته بعض المعامل الامريكية على اساس انه من الاقراص التي تجلب النوم للمرضى ، ولكن بعض اساتذة طب الاسنان في انكلترا نجحوا في اكتشاف هذه الخاصية العجيبة فيه ، وهي انه يزيل الخوف من قلوب المرضى .

● ينصح الاطباء المتبرعين بدمائهم عادة بالاكتفاء بهذا التبرع خمس او ست مرات في كل عام على الاكثر ، نظراً لان الجسم يحتاج عادة الى حوالى شهرين ليسترد الكرات الحمراء التي فقدها دمه ..

ولكن الدكتور جوزيف ستوكس كبير اطباء مستشفى فيلادلفيا ، امكنه ان يبتكر جهازاً يكفل اعادة الكرات الحمراء الى دماء الاشخاص الذين يتبرعون بدمائهم بعد فصلها من البلازما التي تحتاج اليها المستشفيات عادة ، وبهذا لا يفقد هؤلاء الاشخاص شيئاً من كراتهم الحمراء ويمكنهم بذلك ان يتبرعوا بدمائهم مرة كل اسبوع دون ان يصابوا بأدنى ضرر .

وستؤدي هذه الطريقة الى الاكثار من كمية البلازما التي تطلبها المعامل الامريكية لانتاج الامصال الواقية من مرض شلل الاطفال .

● اكتشف مستر آرد جويكر وهو عامل دانمركي خبير في اسماك الزينة ، طريقة جديدة لحفظ الاسماك في الثلج ، واعادتها للحياة مرة ثانية .

ولقد بدأت تجاربه منذ سبعة اشهر وكانت اطول تجربة له في ١٣ ابريل بوضع ثماني سمكات في الثلج وبعد شهر اي في ١٣ مايو استطاع ان يعيد اربع سمكات منها الى الحياة بوضعها في حوض مليء بالماء ، وبدأت تعوم في الماء بمجرد ذوبان الثلج الذي كان يحيط بها .

وقال مستر جوهكر انه اكل منذ ايام سمكة من اسماك الزينة التي ظلت ميتة مدة اسبوعين ، ثم اعيدت الى الحياة بالطريقة السابقة ، ثم طهيت بعد ذلك ، وكان طعمها من الذ ما يكون .

● نشر الدكتور كروجمان من جامعة بنسلفانيا دراسة خاصة تحدث فيها عن الانسان في المستقبل وقد اكد الدكتور كروجمان انه بعد مليون سنة يستطيع الانسان الاستغناء عن الكلام لان دماغه سيتمكن من ارسال موجات « روحية » وبفضلها يستطيع التفاهم والاتصال مع غيره من الناس .

● وجهت لجنة شؤون الطاقة الذرية في الكونجرس نصيحة الى افراد الشعب الامريكي طلبت فيها ان يقبل الجمهور على الاكثار من تناول الطعام حتى يزداد وزنه ويكتسب بعض الشحم حول جسمه استعداداً للهجوم الذري المنتظر اذا نشبت الحرب الثالثة .

وقد ثبت من التجارب ان هذه السمنة تزيد من مقاومة الجسم للاشعاعات الذرية التي تنتج من انفجارات القنابل الذرية .

● صرح الدكتور شيلدس ورين في مؤتمر المهندسين الذريين ان افضل وسيلة لازدهار التنقيب



الطبي في المستقبل هي الطاقة الذرية . وقال ان استخدام الذرة في الميدان السلمي يجلب اكبر عصر من الازدهار للانسانية .

● صنع مؤخراً عداد الكتروني جديد يمكن الجراح من معرفة تقلبات حالة المريض في كل ثانية اثناء اجراء العملية الجراحية . فمهمة العداد هي قياس ضغط الدم ودقات النبض وتنفس المريض طوال مدة اجراء العملية بدون توقف .

● استحصل مستشفى ارغون في شيكاغو على محطم ذري قوته ٦٠ مليون فولت لاستخدامه في قتل السرطان الداخلي في الجسم . ويبلغ وزن هذا الجهاز ١٠ اطنان وثمنه ٢٥٠ الف دولار .

● ذكرت جريدة « هندوستان ستاندارد » في نيودلهي ان نتائج الابحاث التي اجريت في مؤسسة العلوم « الذرية » في كلية العلوم بجامعة كلكوتا قد اثبتت ان امطاراً ذات تفاعلات ذرية قد هطلت على كلكوتا في ٢٩ ابريل الماضي .

الا ان نسبة التفاعلات الذرية كانت ضئيلة في عينات المطر التي اجريت التجارب عليها وكذلك كانت ضئيلة في عينة الغبار الذري التي التقطت من اعالي الجو بواسطة اجهزة خاصة اثر تفجير اخر قنبلة هيدروجينية امبركية في المحيط الهادي . وهذه النسبة الضئيلة من التفاعلات الذرية في تلك الامطار كانت اقل من ان تحدث اشعاعاً يضر المخلوقات الانسانية او النباتات .

● وضعت الباخرة اليابانية شنكورسو مارو تقريراً مفصلاً عن تأثير الاشعاع الذري في المياه بعد ان قامت هذه الباخرة برحلة طويلة استغرقت نحو شهر كامل في منطقة التجـــارب الذرية في المحيط الهادي .

وقد اعلن التقرير انه لم يوجد اي مواد اشعاعية في مساطر المياه التي فحصت وفي الاسماك التي جرت الابحاث عليها في منطقة التجارب الذرية في منطقة الباسفيك . اما الجو فكان على بعد ستين ميلاً من بكيني مشحوناً بالاشعاع الذري الى درجة ١٣٠ وحدة في عداد جيجر .

وقد ساهم في عملية التنقيب هذه ١٩ عالماً وستة مندوبين عن الصحف .

● بعد ان بليت اليابان بالاسماك المصابة بالاشعاع الذري تبلى اليوم بمحصول الشاي .

وقد تحقق الخبراء بان قسماً من محصول الشاي في اليابان اصيب بالاشعاع الذري . فقد تبين ان مئة غرام من هذا الشاي تحتوي على الف ومئتين وستين وحدة من الاشعـــاع الذري وتعزو الاوساط العلمية هذا الامر الى الامطار المشحونة بالاشعاع الذري . ومن جهة اخرى تحقق الخبراء بان السنونو وانواع الطيور الاخرى قد اصيبت ايضاً بالاشعاع الذري من الداخل والخارج .

● ابتدأت شركة تريسر لاب باستعمال مقياس يحتوي على نظيرة اشعاعية ، سترنيوم ١٣٧ ، تقيس بدقة سمك المواد الرقيقة ، وتقول الشركة ان المقياس سيستعمل على نطاق واسع في المصانع التي تنتج المواد الرقيقة كالورق وصفائح اللدائن والرقائق المعدنية . والمقياس يرسل اشعة « بيتا » ذات القوة المنخفضة التي يطول نصف حياتها ٣٣ عاماً وهي المدة التي تستغرقها قبل ان تفقد نصف قوتها الاشعاعية . واما الراديوثاليوم المستعمل في المقاييس القديمة فلا يطول نصف حياته سوى عامين و٧ من ١٠ من العام ويحتاج الى تبديل مرار عديدة .

● اعلن في مانيلا نبأ وفاة اول ضحية للسمك المصاب بالاشعاع الذري ، فقد توفيت سيدة تبلغ الستين من العمر بعد ان اصيبت بآلام حادة في معدتها نتيجة اكلها سمكا اصطيد من شواطىء جزر الباسفيكي التي جرت قربها التجارب الذرية .

● تمكن احد المصانع الهندسية في لندن من اختراع جهاز يتمكن بواسطته توليد اشعة كاشعة الشمس . وسيستخدم هذا الجهاز في معرفة متانة الصباغة والاقمشة والتصوير الزيتي والمواد الصمغية التي تستخدم في صنع التماثيل وغيرها من المواد التي تتعرض لاشعة الشمس ولا يولد الجهاز تأثـــير اشعة الشمس فحسب ولكنه يستطيع زيادة قوتها بحيث تمكن تقصير الفترة الطويلة التي تتعرض فيها هذه المواد لاشعة الشمس العادية ولما كان تغيير لون المادة يتوقف الى حد كبير على كمية الرطوبة في الجو فان الجهاز يحتوي على آلات تكييف رطوبة الهواء المحيط بالمادة التي يجري اختبارها .

● تقول صحيفة « الباتس » ان مخترعاً اسوجياً قد ابتكر طريقة عملية تمكن المسافرين من الحصول على مياه الشرب من هـواء الصحراء .

وهذا الجهاز الذي ابتكره الاستاذ هيلستروم الخبير المائي في جامعة ستوكهلم هو عبارة عن ياردين من مادة بلاستيكية تفلش بعد غروب الشمس في الصحراء ويمكنها ان تجمع نحو ليتراً او اكثر من مياه الشرب اثناء الليل .

● توفي العالم الروسي الدكتور سرج يودين ، البالغ من العمر الرابعة والستين .

وقد ذكرت وكالة تاس ان الطبيب المذكور هو عضو في الاكاديمية السوفياتية للعـــلوم في الاتحاد السوفياتي .

وهو معروف الى جانب ذلك بابحاثه العلمية القيمة وباكتشافاته الكثيرة في الحقل الطبي ، كما ان له دراسات كثيرة عن امراض الرئتين والمعدة والامعاء ، وعمليات نقل الدم .

وقد نال جائزة ستالين مرتين ، كما انه عضو في كثير من الاكاديميات الاجنبية العلمية .

● تقول منظمة التغذية والزراعة الدولية ان التجارب قد اثبتت ان صيد الاسماك بواسطة الشباك المصنوعة من النايلون يضاعف الكمية التي يمكن اصطيادها بواسطة الشبكة المصنوعة من القطن عدة مرات .

● اعلنت البحرية الاميركية انها تضع الان خريطة دقيقة للجبال والاودية في اعماق البحار وذلك لتأمين سلامة الملاحة للغواصات الذرية التي تقطع مسافات طويلة جداً تحت الماء .

● كان الخبراء البحريون البريطانيون وما زالوا يكرسون عناية كبرى لاستنباط وسائل جديدة لمقاومة الغواصات . وكان اخر استنباط من هذا القبيل جهاز كهربائي مستمع عبقري الصنع الى اقصى حد يحتوي على دماغ الكتروني وحالما يحدد هذا الجهاز مكان وجود الغواصة يشرع في تدميرها اذ يدير بصورة اوتوماتيكية مدفع هاون مقاوم للغواصات اشد فتكا من اي سلاح عرف .

ويسيطر الجهاز على مدفع الهاون الجديد بصورة اوتوماتيكية ويحدد مكان الغواصة ثم يطلق النار فاذا بالقنابل تنفجر في الاعماق الملائمة وذلك دون اية مساعدة بشرية مما يزيد في قوة السفن المدمرة للغواصات اضعافاً مضاعفة .

ويعرف هذا السلاح الجديد في الاسطول باسم « الليمبو » .

● اذاع راديو موسكو بان العالم الفلكي السوفياتي اراشيف قد قام بابحاث هامة جـــداً ومشاهدات قيمة حول القمر والمريخ وفينوس . وقال راديو موسكو بان باراشيف قد نقض نقضاً تاماً القوانين التي كان يتمشى عليها العلماء والقائلة بان ضياء القمر متساو وعلى نمط واحد ، وقد برهن على ان هذا الضياء انما يختلف باختـــلاف المناطق البركانية ، والمناطق الصحراوية في القمر .

اما فيما يتعلق بفينوس ، فقد درس باراشيف على الاخص تداخل الاشعة الحمراء في الجو ، والكثيرة جداً في هذا الكوكب ، كما برهن ايضاً على ان فينوس موجود الآن في فترة

كربونية ، وهي الفترة التي مرت بها الارض منذ ثلاثمئة مليون سنة .

● اعلن استاذ الفلك في جامعة ميشيغان بامبركا في اجتماع عقدته الجمعية الفلكية الاميركية وحضره عدد كبير من علماء الفلك ان كوكب المريخ سيتطور حتى يصبح « كوكباً مسكوناً » .

وقال ان البقع السوداء التي تظهر في المريخ ليست الا بقايا رماد تخلف عن انفجار بركان عنيف وهذه نتائج تناقض الفكرة القديمة التي تقول ان كوكب المريخ قديم بارد . وان هذا الانفجار البركاني العنيف يمثل مرحلة من مراحل التطور تشبه تلك التي مرت على عالمنا الارضي منذ ثلاثة ملايين من السنين . واكبر الظن ان المحيطات الموجودة على ظهر الارض الان نتجت عن باطن الارض نتيجة انفجارات بركانية . وعلينا بدلا من ان نرقب هذه الارض المسكونة ان نرقب ميلاد كوكب جديد .

واضاف الى ذلك ان ما يظهر في المريخ وكأنه « خلجان » ليس الا براكين تخرج حمما شديداً وكميات وافرة من الرماد والتراب .

بالاضافة الى ان الرماد البركاني يبدو على ظهر المريخ في لون اخضر وليس رمادياً كما هو عندنا لقلة الاوكسجين في المريخ .

● انتجت شركة جنرال الكتريك جهازاً جديداً من الرادار لمساعدة قاذفات القنابل على معرفة مراكز واتجاهات طائرات العدو بالليل ووسط الضباب . فعندما تقترب احدى طائرات العدو من الطائرة التي تحمل الجهاز الجديد يسجل الرادار بصورة اتوماتيكية اتجاه وبعد الطائرة وينقل الى عداد خاص جميع المعلومات الدقيقة . وعندما تصبح طائرة العدو بمتناول نيران الطائرة تطلق مدفعيتها بصورة اتوماتيكية لاسقاطها .

● اعلن رسمياً في موسكو انه قدتم صنع مقاتلة نفاثة تطير بسرعة ١٦٧٥ ميلا (حوالي ٢٧٠٠ كيلومتر) في الساعة وقد جربت وطارت فعلا وذلك بمناسبة الاحتفال بعيد الطيران في روسيا

وقال راديو موسكو اننا نتوقع ان نرى قريباً جداً طائرات بغير اجنحة ونفاثات تنطلق بقوة الطاقة الذرية . وقد صرح مهندس الطيران الروسي الشهير ميكويان ان ذلك امر ليس بمستغرب .

وكتب في صحيفة جازيت الادبية انه لم تبق هناك ضرورة لاستعمال الاجنحة في الطيران وان روسيا قد استطاعت ان تضاعف السرعة الى حد كبير .

وكتب الجنرال بونوماروف في جريدة « النجم الاحمر » لسان حال الجيش السوفييتي يناقش نظرية استعمال آلة تسير بواسطة الطاقة الذرية ، وتنبأ بانها ستؤدي الى ازدياد سرعة الطيران زيادة هائلة .

● اكتشف اخيراً نوع ممتاز من الحديد الخام في جبل الجهري الذي يقع على بضعة كيلومترات من الواحات البحرية في الصحراء الغربية بمصر .

وقد زار خبراء مصريون والمان هذه المنطقة ودلت التحريات التمهيدية على ان المنطقة تحتوي على ٢٢ مليون طن من الحديد الخام من النوع الجيد . والمعتقد ان الابحاث التي ستجري فيها بعد ستكشف عن كميات اكبر من الحديد الخام وسيتعين انشاء طريق للسيارات او خط حديدي طوله ٢٠٠ كيلومتر ليربط تلك المنطقة باقرب ميناء على البحر الاحمر .

● ضربت طائرة نفاثة امبركية من طراز ب - ٤٧ وهي قاذفة قنابل رقماً قياسياً عالمياً جديداً وذلك ببقائها في الجو مدة ٢٩ ساعة . وقد قطعت خلالها مسافة ١٢ الف ميل بدون ان تهبط الى الارض .

● تقول دائرة الاحصاء الاميركية ان اكثر من ثلث الفتيات اللواتي لا يتجاوز عمرهن التاسعة عشرة في الولايات المتحدة متزوجات وان واحدة من عشرين تزوجت قبل ان بلغت من عمرها الثامنة عشرة ، ومعظم هؤلاء الفتيات يتزوجن رجالا اكبر منهن سناً وخاصة من الرجال الذين تجاوزوا العشرين من سنهم ، ولكن نسبة الشباب الذين يتزوجون قبل بلوغ العشرين من عمرهم فلا تتجاوز ٩ بالمئة فقط .

● اكد العالم الفرنسي الاب فيلاردي شاروان ان الانسانية ولدت في افريقيا وليس في اوروبا او آسيا او اندونيسيا كما كان معتقداً حتى الان .

وذلك في اثناء محاضرة القاها اخيراً في قاعة الجمعية العلمية في باريس لخص فيها نتيجة الابحاث التي قام بها في جنوب افريقيا لاكتشاف تاريخ الانسان . وقال ان النتيجة التي وصل اليها عن اصل الانسان تعتمد على احدث المكتشفات التي عثر عليها هو وغيره من العلماء ، وان من بين الادلة التي تعزز رأيه اكتشاف عظام كثيرة في جنوب افريقيا لمخلوقات تعتبر بين القرد والانسان ولكن لم يعثر على اي دليل على وجود صناعة ما بالقرب من المنطقة التي عثر فيها على هذه العظام .

واستطرد العالم يقول ان « المخلوق العاقل » ظهر ايضاً لاول مرة في افريقيا ولكن بعد فترة طويلة من التطور واثاره موجودة بكثرة في افريقيا مما يعتبر دليلا على « انبثاق الحياة » في القارة الافريقية التي اصبحت عندئذ مخزناً لنشر الجنس البشري .

ثم ان تطوراً مماثلا كان على وشك الوقوع في اسيا ولكنه فشل . ثم انتشرت الاجناس الافريقية واتخذت طريقها نحو الشمال ، وبعد ان سكنت في اوربا وافريقيا انحدرت الى اميركا ومنها الى بعض المناطق الواقعة بين شيلي والارجنتين بعد ان اصابها الاعياء وبدأت تتأخر وتتناقص .

● تجلد دار هولندية للطباعة ٤٠٠٠٠ نسخة من كتاب جديد اصدرته بجلد الاسماك ، وقد حضرت هذه الجلود بطريقة خاصة في احد مصانع النروج ، ويقول الخبراء ان هذا النوع من الجلود يوازي الجلود الاعتيادية ، وقد نتج عن التجارب المذكورة ان استعملت جلود الاسماك في صناعة الاحذية .

● من احدث التطورات الزراعية في الولايات المتحدة مزج مادة الددت مع النيتروجين السائل وقد ركب هذا السائل في جامعة برديو كطريقة للقضاء على سوس البرسيم الذي كان يفتك ببعض المزروعات موقعاً فيها اضراراً فاحشة ويتألف هذا المزيج السائل من ٢٣٠٠ غرام من الددت مع ٢٠٧ لتر من النيتروجين السائل بقوة ٣٢ بالمئة لكل هكتار من الارض ويرش بالالات الاعتيادية عندما تكون البذور في دور التكوين .

● اعلن مهندسو المخبر الوطني في ارغون عن آلة جديدة الكترونية يستطيع العلماء بواسطتها ان يقوموا بالعمليات المخبرية المعقدة على مسافة بعيدة او من وراء حواجز مانعة بنفس السرعة والرشاقة التي يستطيعون بها القيام بهذه الاعمال مستعملين ايديهم .

وهذه اليد الالكترونية تقوم على الحركات السبع الاساسية التي تنفذها يد الانسان في الحمل والقبض وفي تحريك وتدوير الاشياء وتتألف من قبضتين رئيستين مربوطتين بخطوط ومعها زوج من الايدي الالكترونية وستستعمل هذه الايدي عند معالجة المواد المشعة بالاضافة الى استعمالاتها الاخرى .



مجموعة من المؤلفات الادبية

- مع الغرباء – ديوان شعر – لهارون هاشم رشيد – غزة
- حصاد القلم – مجموعة مقالات – لأبو القاسم كرو – ليبيا
- اعاصير في السلاسل – ديون شعر لسليمان العيسى – سوريا
- أباريق مهشمة – ديوان شعر لعبد الوهاب البياتي – العراق
- في جوف الصحراء – ادب وتاريخ وسياحة لعرفات محمود حجازي – الاردن

هذه مجموعة من المؤلفات الادبية الجديدة *، صدرت في اجزاء متباعدة من الوطن العربي، وبأقلام جماعة من شباب الادباء، وهي الآن تلتقي جميعاً على بساط واحد من صفحات مجلة الاديب الغراء كرمز الى وحدة الامة التي تتألف من شعوب هذه الاقطار المتباعدة، ووحدة الوطن العربي، ووحدة الشعور العربي القومي في نفوس الجيل الواعي المخلص من شبابها.

ولكنني قبل ان ابدأ الحديث على هذه الكتب نفسها، اود ان اقف طويلاً عند امر لفت انتباهي بشدة، وجعلني احس له بكثير من الاستغراب والاستهجان معاً؛ وهو في الكتابين الاولين من هذه المجموعة. ذلك هو تعدد المقدمات والدراسات في كل منهما بأقلام جماعة من اعضاء رابطة الادب الحديث في مصر. فقد رأينا كتاب «مع الغرباء» يبدأ بمقدمة طويلة للاديب المصري الاستاذ عبد المنعم خفاجي، ثم يختم بأربع دراسات متتابعة للاساتذة: مصطفى السحرتي، وديع فلسطين رضوان ابرهيم وزكريا الانصاري. وكلهم من اعضاء رابطة الادب الحديث في القاهرة.

وكذلك رأينا كتاب «حصاد القلم» تتلاحق في بدايته اربع مقدمات، للاساتذة: عبد المنعم خفاجي، عبدالله زكريا الانصاري، رضوان ابرهيم، ثم المؤلف نفسه.

ونحن اذن نستطيع ان نعتبر لديوان «مع الغرباء» خمس مقدمات – لا واحدة – و «لحصاد القلم» اربع مقدمات ايضاً. وهذا ما لم تجرِ به عادة تقديم الكتب في السابق، بل هو بدعة جديدة لا اظنها مستحسنة؛ لأن الدراسات النقدية، من المفروض ان تكون عملاً يجري في الصحف بعد صدور الكتاب، لا في الكتاب نفسه. وخمس مقدمات – او اربع – في كتاب واحد، شيء كثير جداً، لانه يصرف القارىء عن الكتاب نفسه، الى اصحاب المقدمات والتعليقات، ويمنع الناقد من تقدير الكتاب بحكمه الخاص، بعيداً عن المؤثرات، الا اذا اهمل تلك المقدمات والدراسات كلها اهمالاً تاماً؛ وفي هذه الحالة يكون اصحابها قد اجهدوا انفسهم بلا فائدة.

وعدا هذا، فان مثل هذه المقدمات العديدة للكتاب الواحد تستغرق منه جزءاً كبيراً جداً، ليس في مصلحة القارىء المستهلك الذي يدفع ثمن الكتاب. ونحن نعرف القارىء كثير الملل من المقدمة الواحدة، مهما تكن قصيرة، فكيف به أمام خمس مقدمات معاً ؟!. وفي ديوان (مع الغرباء) خاصة اكبر دليل على هذا فمجموع صفحات الكتاب كلها ١٧٦، بما في ذلك الفهارس، وبعض الاعلانات والصور والتعليقات القصيرة. اما القصائد فقد استغرقت منها نحو ١٢٠ صفحة فقط، والباقي كله وهو ٥٧ صفحة، استغرقته المقدمات والدراسات. ولا اظن مثل هذا يجوز – او يصلح – في كتاب ادبي كهذا، اللهم الا اذا كان يهم اصحاب المقدمات العديدة ان تظهر اسماؤهم مقترنة باسم الكتاب وصاحبه؛ وفي غير هذا يظل عملهم ضرباً من العبث الفارغ، الذي لا يعطي كتاباتهم قيمة، ولا يزيد بها قيمة العمل الادبي الذي يقدمونه؛ بل على العكس، اراه يقلل قيمته كثيراً لدى القارىء، ويجعله يعتقد للوهلة الاولى، بأن هذه المقدمات كلها ليست سوى ركائز شاء اصحابها ان يسندوا بها كتاباً ضعيفاً، فيرفعوا قيمته في نظر القارىء العادي؛ او شاء صاحبه نفسه ان يجعل له قيمة بها.

وانا اجل الصديق الاديب ابو القاسم كرّو والشاعر هارون رشيد، عن ان يقدما لنا كتباً لا قيمة لها في ذاتها، فتحتاج الى ان تستمد قيمة من كثرة الاسماء التي تقدمها. وانما اسوق هذا التمهيد الطويل لاقول ان كثرة المقدمات ليست في مصلحة

* ما كتبه الاستاذ عيسى الناعوري يعبر عن رايه الشخصي، ومجال الرد عليه في الاديب مفتوح لمن يشاء [الاديب]

الكتاب المقدم ، ولا في مصلحة المقدمين انفسهم ، ولا في مصلحة القارىء المستهلك ، ولا في مصلحة النقد الادبي نفسه .

وانا اعترف بأنني قد انصرفت الى قراءة هذين الكتابين بغير ان اعير المقدمات والدراسات النقدية ادنى اهتمام . ولست اشك في ان اغلب النقاد والقراء الواعين ، لن يفعلوا الا مثل هـذا ليستقيم لهم الفهم والحكم غير المغرضين ، ولا المتحيزين ، ولا المتأثرين بآراء الآخرين .

هذا شيء ؛ وهناك بدعة اخرى طلع علينا بهـا اصحاب المقدمات ، وهي بدعة خلع الالقاب جزافاً من بعضهم على بعض كبدعة تسمية الاستاذ مصطفى السحرتي باسم (عميد النقاد المعاصرين) . ونحن لم ننس بعد السخافة الكبرى التي تورط فيها عدد من شعراء العالم العربي ، حين نادوا بشوقي اميراً للشعراء .

ولسنا نريد ان يتورط ادباؤنا الاحياء في بدع اخرى من هذا النوع . فتأليف كتاب في النقد ، لا يكفي وحده لنخلع على صاحبه لقباً ادبياً كبيراً كهذا : (عميد النقاد المعاصرين) ، لا سيما اذا عرفنا ان كتاب (نقد الشعر المعاصر) لم يدل على شيء غير ان صاحبه قد (طالع) كثيراً لاجل تأليفه . اما احكامه النقدية فان كثيراً منها قد كان بعيداً جداً عن صحة التقدير الادبي ، وعن الاحساس الفني في تذوق الشعر ؛ كما ان فيه تحيزاً لبعض الاشخاص ، يبعد جداً عن ان يستحق معه صاحبه لقب (الناقد الموفق) بله (عميد النقاد المعاصرين) ؛ فقد وضع اولئك الاشخاص في مكانة لا يستحقها شعرهم ؛ ولكن مجرد صلة الاستاذ السحرتي الشخصية بهم وتقديره لاشخاصهم — وقد لا نختلف معه في تقدير اشخاصهم — جعلاه يضعهم في تلك المكانة . والنقد الادبي ليس حكماً للاشخاص ، ولكنه شيء يجتمع فيه الذوق الفني ، والاحساس الادبي ، والتقدير المنطقي ، والفكر المتعمق ، في تقدير « الاثر الفكري » المنقود لا « شخص » صاحبه .

ومثل هذه الالقاب يخلعها اصحاب المقدمات بعضهم على بعض تجعلنا نعتقد بأن كثرة مقدماتهم في الكتاب الواحد ، ليست لاجل الكتاب فقط ، ولكنها لاجل ظهورهم هم انفسهم على حساب الكتاب وصاحبه .

قد اكون مخطئاً في هذا الحـكم — وارجو ان اكون مخطئاً — ولكن اذا كانت المقدمات تؤدي الى النتائج ، فهذه هي النتيجة التي اوصلتني اليها بدعة المقدمين الجديدة في رابطة الادب الحديث في مصر وبينهم أدباء أجلهم واحترم ادبهم ومكانتهم .

إن هناك اشياء كثيرة تجوز في الادب ، ولكن تقايض الثناء والمجاملات على حساب الادب والحقيقة — وعلى حساب القارىء المستهلك ايضاً — ليس من هذه الاشياء التي تجوز ، ولا من الاشياء التي تليق بالاديب الذي يحترم قلمه ، ويحترم مكانة الفكر والفن .

ونأتي بعد ذلك الى الحديث على الكتب التي خصصنا لها هذا المقال .

١ — مع الغرباء

لهارون هاشم رشيد — ١٧٦ صفحة — منشورات رابطة الادب الحديث القاهرة

الغرباء الذين يعنيهم الشاعر في ديوانه ، هم (اللاجئون) اخوانه وابناء بلده .. هذا الشعب الذي كان له وطن ، وكانت له حياة جميلة ، رخية ، حلوة في جنائن وطنه وخيرات وطنه ، وشواطىء وطنه ، وملاهي وطنه ؛ ولكنه اصبح الآن اشباحاً من بشر ، ولقمة احسان ، وثياباً بالية من هبات الغرباء ، وكهوفاً مظلمة ، وخياماً بالية في كل ارض من بلاد الله ، غير وطنهم وغير ارضهم .

هؤلاء هم غرباء الرشيد الشاعر . وديوانه كله اغان من قلب ممزق كخيامهم ، مهدم بالالم كقلوبهم ، ولكنه عامر — الى جانب محبتهم والتفجع لهم — بالأمل في غدهم ، وبالايمان في اقالة عثرتهم وفي قصائده يصور الشاعر بؤسهم ومآسيهم التي تتنوع وتجل عن الحصر ، والآلام التي تعشش في نفوسهم ، والغربة الـتي تملأ صدورهم :

لماذا نحن يا ابت … لماذا نحن اغراب ?
أليس لنا بهذا الكون ، اصحاب واحباب ?
أليس لنا اخلاء … أليس لنـا احباء ?
لماذا نحن يا ابت … لماذا نحن اغراب ?

لماذا نحن في سقم … وفي بؤس وفي فقر ?
نظل نتيه جوابين … من قطر الى قطر
اما كانت لنا ارض … بها الامال تخفر ?
اما كان لنا وطن … يسبح باسمه الزمن ?
لماذا نحن يا ابت … لماذا نحن اغراب ?

او هي قصائد محرقة ، في النقمة على مسببي هذه الغربـة الطويلة المفجعة لهؤلاء الغرباء الاشقياء ؛ وتذكير واستنفار لكل فلسطيني مشرد : تذكير بالوطن وتربته الغالية ، واستنفار ليوم الثأر والعودة الى الوطن :

اخي ! اينما سرت ، في اي قطر ستمضي وراءك ابيــات شعري
بعصف واعصار نار ، وجمر وتهدي اليك عصارة فكري

تقول : فلسطين لا تنسهـا فمن نبتها انت من غرسها
ومن عزها انت من بؤسها ومن مجدها انت ، من قدسها

ابوك على ارضها استشهدا وفوق ذراها تحدى العدى
وقال : فلسطين اني الفدى وما ذل يوماً ولا استعبدا

اخي ان صوتك كهوف العذاب وهز صغارك ظفر وناب
وعوت حواليك تلك الذئاب فصبراً الى ان يحين الاياب

اخي ! ايـنما سرت فالملتقى إذا ارعد الثأر او ابرقا
هناك لنا موطن مزقـا سترجعه غانماً مشرقا

وهي اخيراً شعل من لهب الحب ، والحنين ، والايمان الوطني ، ومن الاسى والحقد والثورة ، يبعثها في نفس الشاعر كل شيء حوله في حياة اللاجئين « الغرباء »،وتثيرها في وجدانه كل هبة نسيم تحمل اليه ذكريات حيفا ويافا وعـكاء وطبريا ، وكل نفحة تمْلى بروائح البرتقال والليمون . ولذلك ستجد هذه القصائد صداها في نفس كل لاجيء ، اولاً ، وفي صدر كل عربي حر ، ثانياً — لانها رسالة لاجيء متألم الى اللاجئين المتألمين ، ورسالة شاب عربي حر ، الى العرب الاحرار في كل مكان .

اما صياغة هذه القصائد العديدة في الكتاب ، فاذا كانت موفقة وجميلة ، في الكثير منها ؛ فان في بعضها صياغة ضعيفة ، او الفاظاً غير معبرة ، او قوافي مقلقلة ، واذكر من الامثلة على هذا قصيدة (قصة) وهي من الشعر القصصي ، وتقع في ست صفحات كاملة ؛ فقد جاءت صياغتها كثيرة الضعف ، بحيث نعتقد انه لو كتبها نثراً لكانت اجمل وقعاً في النفس ، وادل على شدة اثرها في نفس صاحبها . وكذلك اذكر قصيدة (غرباء) التي جاءت قوافيها مقلقلة متنافرة ، لا تبعث في نفس القاريء سوى السآمة والنفور لعدم انسجام بعضها مع بعض ، فبينما ينتهي البيت الاول بلفظة (اتينا) نرى الثاني ينتهي بلفظة (منّا) والسادس (فعلنا) وغيره (ثرنا) ، وهكذا مما تنعدم معه موسيقى القافية تماماً .

ومن الالفاظ الضعيفة جداً في تعبيرها عن المعنى والاحساس الذين يريدهما الشاعر ، لفظة (طافا) في البيتين التاليين من قصيدة (مع الغرباء) :

ابي ! قل لي بحق الله هل نأتي الى يافا ؟
فان خيالها المحبوب في عيني قد طافا !

ان اللهفة العميقة التي يصورها البيت الاول ، تبرد حرارتها تماماً حين تتحول في البيت الثاني — وبسبب لفظة « طافـــا » وحدها — الى مجرد ذكرى عابرة تطوف في عين الطفلة الغريبة — او لعل الاصح « في نفسها » — !

٢ — حصاد القلم

لأبو القاسم محمد كرو — ١٧٤ صفحة — منشورات مكتبة الفرجاني — طرابلس الغرب ليبيا

هذا الكتاب هو الرابع من مؤلفات الاستاذ كرّو ، فقد سبقه الى الظهور الكتب التالية : مايس شهر الدماء والدموع في المغرب العربي — الشابي — كفاح وحب — كما تلاه كتاب آخر ، لم يصل بعد الى الاسواق حين كتابة هذه الكلمة — وعنوانه (الوطنية في شعر الشابي) .

وابو القاسم كرّو من ذوي الأقلام الموقوفة على خدمة القومية العربية ، والنضال العربي ؛ ومن المؤمنين بوحدة الامة العربية ، وبوجوب تكاتفها واستمرارها في النضال العنيد للحرية التامة . وكتابه هذا الجديد (حصاد القلم) يحتوي على مجموعة مقالات ومحاضرات واحاديث اذاعية ، وكلها في مواضيع وطنية قومية عربية ، قد يقتصر بعضها على قضايا المغرب العربي ، ولكن اكثرها في الايمان القومي ، والنضال الشعبي العام في العالم العربي . وفي ذكر بعض العناوين من الكتاب ما يدل على موضوعه العام . فمن هذه العناوين : (اتونسيٌ انت ؟ — القوى المضاعة — قربان الحرية — غسلاً للعار — هيا للكفاح — امتنا وشبابنا — عواصف في الطريق) وغيرها .

والروح الغالبة اليوم على الاقلام العربية هي الروح النضالية ولعلها الروح الغالبة في العالم كله ؛ فان قضية الحرية اصبحت اليوم شغل العالم الشاغل : شغل الامم القوية المتسلطة التي اصبحت لا تعرف كيف تحافظ على سلطانها وهيبتها واستعمارها ، امام ثورات الحرية المندلعة في ارض كل شعب محكوم لها ؛ وشغل الشعوب الضعيفة ، التي ادركت قيمة الحرية ، فمضت ترفع رايتها ، وتعمل لها ، وتبذل الدماء السخية لنيلها .

والاديب العربي في وطنه المجزأ المستعبد ، لم يعد يمكنه ان يتخلف عن قافلة الحرية ؛ فهو في مكان القيادة من امته ، يدعو ويستنفر ، ويذكّر ، ويحمل الراية في المقدمة ، ويفتح العيون بطرقات قلمه المجلجل . وابو القاسم كرو احد هؤلاء الادباء ، الذين هم دعاة النضال القومي ، والحرية . وهذه هي غاية كتابه الجديد (حصاد القلم) الذي يقول في احد فصوله :

« اي شباب العرب ! انك مدعو اليوم الى اداء رسالة كبرى ناء بحملها غيرك .. فانت الوحيد القادر اليوم على ادائها لوطنك وقومك ، لأنك القوة الجبارة التي عليها مناط الامل ومعقد الرجاء . بكفاحك يتحرر الوطن من جميع عبودياته ، وبتضحياتك يستعيد حريته واستقلاله ، وبدمائك يتوحد ابناؤه وترابه ، وبنضالك ينتصر على اعدائه جميعاً » .

٣ – أعاصير في السلاسل

لسليمان العيسى – ٢٣٦ صفحة – مطبعة المعارف نجيب كنيدر بحلب

هذا هو الديوان الثالث للشاعر الشاب سليمان العيسى ، فقد سبقه ديوان (مع الفجر) وكتاب (شاعر في النظارة) وهو يحتوي على ١٩ قصيدة ، كلها من الشعر الاجتماعي والوطني والقومي ، وواحدة منها فقط تجمع بين الحب والحنين والوطنية ، ولكن طراوة الحب هي الغالبة فيها وهي التي تمدها برقة عذبة ، يزيدها جمال الوزن الشعري الذي نظمت عليه . تلك هي قصيدة (القرية ومنى) التي اثارت في نفس الشاعر رسالة فيها عتاب ، تلقاها من فتاة اسمها منى ، كانت رفيقة طفولته ، واصبحت الآن تتفتح عن انوثة ناضجة . وفيها يقول :

حلو كالحب عتاب منى ... اهلا بخيالك طفلتنا
يا للذكرى تطوي الزمنا
وتجدد شطراً من عمري ... ايام عصفنا في الدنيا
لهباً ورغـائب من جمر

ومنها .

قسما بغدائرك السود ... عنقود لاذ بعنقود
وبرفتهـا فوق الجيـد
خصلا تنعطف في كبر ... لم تبرح اطياف الماضي
اغرودة شوق في صدري

على ان هذا اللون من الشعر الوجداني ليس هو اللون الذي يدل على روح الشاعر الشاب الذي كرس قلمه لامته ووطنه ، ولانهاض شعبه من حضيض المهانة الذي يتردى فيه . الا ان هذه القصيدة تشترك مع بقية قصائد سليمان العيسى في جمال العبارة الشعرية ، وجمال الخيال ، ورقة اللفظة ، ولطف الحس . والحقيقة ان سليمان من الطف شعراء الجيل الحاضر احساساً باللفظة الشعرية الموحية ، والعبارة الموسيقية . وهذه الخاصة الفنية الى جانب الروح القومية والنضالية الشعبية الجبارة في شعره ، هي اهم الاسباب في ان شعره قد اصبح يجد له صدى عذباً في نفوس الشباب العربي في كل مكان . وهذه المزايا كلها تجتمع في قصيدته « الفيلسوف المجهول » ، وهي في « الفلاح » المناضل في صبر وتضحية ، ليسعد سواه بنضاله وعرق جبينه . وعلى ما في هذه القصيدة من اثر الشاعر ايليا ابي ماضي ، ولاسيما في القسم الاخير منها وعلى الاخص في الصفحة ١١٦ ، الا انها من اروع ما قيل في « الفلاح » من شعر . ومنها قول الشاعر :

سل تربة الحقل : ألم أسقها ... وأروها من جـدي المجهد
دفنت فيـها عمري كله ... من مشهد دام الى مشهـد
ما انفتحت عيني على بهجة ... منذ اجتلى هذا الثرى مولدي
أي ثواب لوحت لي به ... وأي غنم كسبته يدي ؟
كفي على ظلمته مطبـق ... والأمس فيـه ميت كالغد
من لون الأعمار مذ أنشئت ... وخصني بالكالح الأسود ؟

ومنها :

أرى النسيم الحلو إن ينسحب ... في روضة ، عانق كل الشجر
ارى الغدير العذب يسقي على ... ضفافه الشوك ويسقي الزهر
والشمس لم تمنح شعاعاتهـا ... لوردة دون الورود الاخر
وترسل الطير أغاريدهـا ... لكل ما في الكون ، لا للسحر
من حرم النور على مسكني ؟ ... من قسم الحرمان لي والكدر ؟
والأرض إذ أغرس فيها دمي ... من خص غيري أبداً بالثمر ؟

وهذه الأبيات الستة الاخيرة – وابيات اخرى غيرها لم ننقلها هنا – هي التي نعنيها بأثر أبي ماضي ؛ فقد قال مثلها في قصيدته الرائعة (الطين) وفي قصائد عديدة غيرها ، ولا سيا من ديوانه (الخمائل) .

ولعل من أدل الابيات الشعرية على الروح العامة التي يصدر عنها الشاعر سليمان العيسى في شعره ، الابيات التالية من قصيدة (ادفن الشكوى) :

أنا لست الهمسة النشوى على ثغر الرباب
بيدي دمرت أحلامي ، فليست بالعذاب
أنا أشلاء الضحـايا الحمر في شدق وناب
وعويل الوطن الدامي على فك الذئاب
أنا إيماء الغد اللاهب في قلب الضبـاب

كما ان الابيات التالية أيضاً من القصيدة نفسها ، تتناسب أتم التناسب مع عنوان الديوان (اعاصير في السلاسل) :

ليزجونا غذاء السجن ، مثنى وفرادا
وليبيعوا مثلما شاؤوا ، لمن شاؤوا ، البلادا
لا رعانا المجد إن نلبس على الخطب حدادا
فجرنا أقوى على الآفاق نوراً واحتشادا
نفخة الإرهاب لن توسعه الا اتقـادا

ومن أجمل قصائد الديوان ، والطفها حساً ، وأروعهـا

عبارة، ابيات يتحدث فيها الشاعر عن طفله «معن»، والمستقبل الحر الذي ينتظره وينتظر جيله ، بعد كفاح الجيل الحاضر .
وهي من قصيدته (رسالة) :

ومعن رفيف الصباح الجميل   بعاصفة في الضحى ينذر
أرى فيه جيل الحياة الوليد   وغرسة أحلامنا تكبر
تحطم في صدرنا امة   وفي ثغره امة تنشر
ونلطم نحن قيود العصور   عساها على زنده تكسر

وفي الديوان قصائد عديدة في اللاجئين ، ومآسيهم التي تهز قلوب الصخر – ولكنها لا تهز قلوب الظالمين –. فهناك قصيدة « على الرصيف » و « لاجئة في النظارة » وغيرهما . وكل قصائده غضبات لاهبات على ذل الامة العربية ، وما في حياتها من نفاق وعبوديات ، وزفرات على واقعها الاليم . واكتفي ههنا بلفت نظر القارىء الى القصائد التالية من الديوان بشكل خاص : « يا شاعر الارز ! – الفيلسوف المجهول – الارسوزي – على الحدود » فهي جميعها قصائد في غاية الروعة ، سواء في روحها النضالية العاصفة ، او في عبارتها الشعرية العذبة .

٤ – أباريق مهشمة

لعبد الوهاب البياتي – ٩٨ صفحة – منشورات الثقافة الجديدة ببغداد

وهذا هو الديوان الثاني للشاعر عبد الوهاب البياتي ، ولكنه ينحو في القسم الاكبر منه نحواً شعرياً جديداً ، هو النحو السريالي ، والنظم الحر ، الذي اصبح موضة دارجة على اقلام الكثيرين من شعراء العراق اليوم ، من نازك الملائكة ، وشاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتي ، وصفاء الحيدري ، وبلند الحيدري ، وكاظم جواد ، وكثيرين غيرهم. وهم في سرياليتهم هذه لا يقفون عند طرائق الشعر العربي التي تأنس اليها النفس ، بل يحاولون الانطلاق في شعرهم على غرار الشعر الغربي ، ولكنهم يفقدون الشعر جماله وموسيقاه .

الا ان عبد الوهاب البياتي يختلف عن جميع هؤلاء بشيء في صياغته الشعرية ، لا اراه يحبب شعره الى نفس القارىء؛ كما انه يختلف عنهم جميعاً بالاغراب في الغموض ؛ وصياغته الشعرية يكثر فيها التكرار ، الناشز جداً ، للعبارة الواحدة في ابيات متعددة – متلاحقة او متباعدة – كما ان ابياته كثيراً ما تجيء مفككة ، لا يرتبط احدها بالآخر . وليس هذا ضعفاً اصيلاً في شاعرية عبد الوهاب ، ولكنه يتعمده بنفسه ؛ ولا ادري لماذا يتعمده بهذا الشكل ، وانا لا اشك في انه هو نفسه لا بد من انه يشعر بنشوزه ونفوره .

ولست اريد ان يعتقد القارىء انني اسوق القول على عواهنه او اتجنى على الاستاذ البياتي ، وهو صديق لي عزيز ، وانا احبه واحترم شخصه ، ولكنني لا احب طريقته الجديدة في الشعر فقط . وفيما يلي نماذج من قصائده الجديدة ، المغربة في الغموض وفي التكرار الناشز للعبارة .

من ذلك قوله في قصيدة « فيت مين » :

وكرنة العصفور صوتك لا يزال
في ليل باريس يناديني : تعال
في ليل باريس تعال !!!
حيث البغايا الشقر والعتمات والمتسولون
وضريح ميرابو وروبسبير والفكر المهان
تحت النعال ، وصوتها في ليل باريس تعال !
والثلج والعتمات والمتسولون
وسعال طفلتنا المريضة ، والبواخر ، والزمان
وصليب ثورتنا القديم : (حرية ، عدل ، مساواة) يلوث في دماء الابرياء

ومنه كذلك في قصيدة « ماو ماو » :

الموت ، والانسان من اعماق فطرته ، يقدم في سخاء
شاراته الاخوية ، الانسان ، في ليل الصراع
شاراته في ليل (كينيا) و (الملايو) و (القنال)
في ليل كينيا كالشعاع
في ظلمة الغابات والمستنقعات
حيث الافاعي والظلال
والشمس ، والصبار ، والافق المخضب بالدماء
والكادحون
والموت والانسان والمستنقعات
في ليل كينيا ، والقرى والكادحون

وقصيدة « مذكرات رجل مجهول » لو كانت في الديوان كما نشرت من قبل ولم يغير فيها الشاعر بعض ابياتها ، لقرأ فيها الناس هذين البيتين الغريبين :

ابواي ماتا في طريقهما الى قبر الحسين
عليه – ماتا في طريقهما – السلام ...

ولكنني لا ادري لماذا لم يغير ايضاً المقطع التالي كذلك :

وكان عمري آنذاك
عشرين عام
ومدافع الحرب الاخيرة لم تزل.. عشرين عام
مولاي ... تعوي في الصقيع

وكذلك في قصيدة « ذكريات الطفولة » حيث يقول :

بالامس كنا – آه من كنا ومن امس يكون ! –
نعدو وراء ظلالنا – ... كنا ومن امس يكون !...

وفي قصيدة « كوريا » :

في موطني تكساس كنت ابيع اوسمة الجنود
العائدين من الرحى الحمراء – اوسمة الجنود .

وقارىء الكتاب الذي يجد فيه العدد الكبير من مثل هذه القصائد ، والمقاطع الغريبة التركيب ، يشعر لدى قراءة كل قصيدة من هذه القصائد ، التي تتميز بنزعتها السريالية الجامعة بين الرمز ، والعنف ، والتحدي ، والغموض، الى جانب التفلت من القيود الشعرية المألوفة ؛ يشعر بأنه يدخل حديقة واسعة ، ولكنه لا يجد فيها اشجاراً قائمة ، وانما يجد اغصاناً تكوم بعضها الى جانب بعض ، وقد اراد « خالقها » في الاصل ان يجعل من كل كوم شجرة كاملة ، وعلى القارىء ان يلتقطها ليؤلف منها اشجاراً قائمة .

صحيح ان القصيدة الواحدة ، او الكومة الواحدة من الاغصان المقطعة تؤلف وحدة موضوعية في مجموعها ولكن ابياتها – متفرقة على الشكل الذي رأيناه .. اشبه ما تكون بتلك الاغصان المقطعة التي يجب ان يؤلف منها القارىء وحده تلك الشجرة التي ارادها « خالقها » عندما وصفها . وهذا الجمع والتكوين يتعبان القارىء كثيراً ، ويؤديان به في الغالب الى السآمة ، والى الهرب من القصيدة منذ أن يشرع في قراءتها .

ويجب ان اعترف ههنا – كما اعترفت من قبل لصديقي عبد الوهاب حين التقيت به في عمان – بأنني عاجز عن ان اجمع من تلك العيدان المكومة شجرة واحدة استطيع ان اتذوق لثمرتها طعماً متميزاً ، او اعرف لها شكلاً خاصاً ؛ لانني لم افهم شيئاً من تلك القصائد الحرة الغريبة عني . حتى القصائد التي كنت انشرها من هذا النوع في « القلم الجديد » ، لم اكن افهم منها شيئاً ، ولكنني كنت انشرها مسايرة لما كنت اعتقده ذوقاً شعرياً عاماً في العراق ، وخشية ان يتهمني هؤلاء الشعراء بفساد الذوق ، وخطل الحكم ، اذا انا امتنعت عن نشر هذا اللون الغريب من الشعر العراقي الجديد اعتماداً على ذوقي وحده.

على ان لجوء الاستاذ البياتي الى هذا اللون من الشعر – او من النظم على الاصح – ليس ضعف في شاعريته – كما قدمنا – وانما يتعمده تعمداً راغباً بذلك ان يكون بين اصحاب الطرائق الجديدة في الشعر العربي ، الذين « يهشمون اباريقه » التقليدية ، ويخرجون به عن حدوده المألوفة ، لينطلقوا به على هواهم ، ضاربين عرض الحائط بالموسيقى التي يمتاز بها الشعر العربي ، والتي ليس في الشعر الغربي مثل رنينها الحلو في نفس القارىء العربي .

ودليلنا على ان شاعرية البياتي ليست ضعيفة ، وانـــه لا يتهرب من الشعر العربي الجميل عن عجز ، بل يتعمد ذلك تعمداً جريئاً ، هو القصائد الكثيرة المنبثة في هذا الديوان نفسه ، الى جانب القصائد الغريبة . ومن تلـــك القصائد الجميلة نذكر : « المحرقة – بعد الربيع – سارق النار – امطار – الاوغاد – الاسير – المماليك – صليب الالم – طيفها – لا اقولها » وغير هذه القصائد . وهي وان تكن تتميز بنفس الروح السريالية المتحدية العنيفة في اغلبها – وما فيها احياناً من الالفاظ المتعمدة لتبعث التقزز في النفس – الا ان الذي يقرأها يشعر بأنه يقرأ شعراً عربياً – اباً واماً – لشاعر عربي يعرف كيف يتصرف بقلمه ، وكيف يتلاعب بخيالاته ، وكيف ينفذ بمعانيه الى النفوس .

خذ مثلاً قصيدته « سارق النار » التي يقول فيها :

داروا مع الشمس فانهارت عزائمهم ... وعـاد اولهم ينعي على الثاني
وسارق النار لم يبرح كعادته ... يسابق الريح من حان الى حان
ولم تزل لعنة الاباء تتبعـه ... وتحجب الارض عن مصباحه القاني
ولم تزل في السجون السود لائحة ... وفي الملاجىء من تاريخه العاني
مشاعل ، كلما الطاغوت اطفأها ... عادت تضيء على اشلاء انسان
عصر البطولات قد ولى ، وها انذا ... اعود من عالم الموتى بخذلان
وحدي احترقت! انا وحدي وكم عبرت ... بي الشموس ولم تحفل بأحزاني

ومن قصيدته « المماليك » :

على عـالم نصفه ميت ... فتحت عيون واطبقتها
سماء ملوثه بالدخان ... يلاحقني عبثاً صوتها
ساذهب قطعانهم في الطريق ... بها عاد مستهزئاً موتها
ذبائح ضائعة لا تعي ... الى الله الجأها قوتها
عويل يلاحقني اينما ... هبطت ، وظل ورائي يسير
هنا كفرت بالسواقي الورود ... وعاشت على ذكريات الغدير
هنا الليل ! ابناؤه اطفأوا ... مصابيحنا في الهزيع الاخير
هنا رفعت للسماء العقيم ... فرايتها آلهات القبور
مماليك ، اعينهم في الحضيض ... محيرة في انكسار تدور

لقد تعمدت ان اختار من هاتين القصيدتين ، اولاً : لانهما من الشعر الجميل القوي في الديوان ، وثانياً : لانهما تدلان على الروح العامة التي يصدر عنها الشاعر البياتي : روح النقمة الشعبية على الظلم ، وعلى قيود المجتمع الجائرة ، وعلى كرامة الشعب المهانة ، وحياة الذل التي يرتع فيها الضعفاء .

وعبد الوهاب لا يتقيد في عاطفته بوطن معين ، او شعب معين — كما يظهر من ديوانه هذا — ولكنه ثائر مع الثائرين ، ناقم مع الناقمين ، متألم مع المتألمين ، من كل شعب ومن كل وطن . ان عاطفته وانسانيته عامة ، وشعره هو شعر النضال الاجتماعي العنيف ، الذي يتحدى كل قوة وكل طغيان ، في سبيل الحرية ، والأمن ، والطمأنينة ، والشبع . وهي روح يباركها كل انسان واع ، وكل محب للحرية وللعدالة وللكرامة الانسانية وللحياة الجميلة السعيدة .

٥ — في جوف الصحراء

لعرفات محمود حجازي — ... صفحة — ...

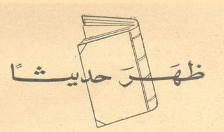
وهذا الكتاب الاخير الذي نتناوله في هذا الاستعراض الادبي ، هو الكتاب الثالث من تأليف الاستاذ عرفات حجازي . وقد سبق للاديب المؤلف ان اشتغل كذلك بالصحافة مدة ، فقد حرر مجلة « صوت الخليل » طوال الفترة القصيرة التي عاشتها . ثم اشتغل في الوظائف الحكومية ، وبحكم وظيفته نُقل مدة من القدس الى الكرك ، في جنوبي الاردن . وقد سجل رحلته هذه ، وانطباعاتها ، وتأثيراتها في هذا الكتاب الذي دعاه « في جوف الصحراء » وجعله الحلقة الاولى من سلسلة كتب يعتزم اصدارها بعنوان « اعرف بلادك » .

وقد تحدث في هذا الكتاب — الى جانب وصف مشاهداته اثناء الرحلة بين القدس والكرك — عن الكرك نفسها ، وحياتها وآثارها ، وسكانها ، وطرائف من تاريخها ؛ كما تحدث عن مؤتة والمزار ؛ وما فيها من آثار البطولات العربية والاسلامية ، وقبور الشهداء المهملة بشكل مزر . وتحدث كذلك عن اشياء من حياة سكان البادية ، وادبهم الفطري ، وتقاليدهم ؛ وعن اشياء اخرى كثيرة ذات طرافة وفائدة .

ويقول المؤلف في مقدمة الكتاب ما يلي : « وهذا الكتاب ليس مجرد رحلة قمت بها من القدس الى الكرك ، كما يبدو لأول وهلة ، فهو دراسة وافية للحياة الاقتصادية والاجتماعية والادبية لجزء من هذا الوطن العزيز ، الذي قالوا بانه بلد فقير قاصر ، تنقصه معظم مقومات الاوطان الحرة المستقلة ؛ فكانت نتيجة هذه الدراسة ان اتت بأثبات ينفي ذلك ، بل يؤكد ان في هذا الوطن العزيز جميع مقومات الثروة والاستقلال والسيادة شريطة ان تجد هذه الثروة من يفتش عنها ، والاستقلال من يعمل له والسيادة من يصونها . والصفحات القليلة التي تضمنها هذا الكتاب ، تكشف الستار الذي اسدله الزمن على الثروة التي يمكن ان نستغلها ، لتمكننا من استئناف حياة كريمة ، كانت تسود ارض هذا الوطن لاجيال قليلة مضت » .

ولهذا الكتاب فوائده الكثيرة ، لا سيما لمن لا يعرف هذه المنطقة من الاردن ، وهذا القسم الصغير من الوطن العربي . الا اننا نود لو اعتنى الاخ عرفات بلغته عناية اكثر ؛ فالعبارة لديه ضعيفة في الغالب ، والاخطاء كثيرة في الكتاب ، كما كانت كثيرة في كتابيه السابقين . واللغة شرط رئيسي في القوة والجمال لدى الكاتب والشاعر .

عمان — **عيسى الناعوري**



- كشف النقاب عن حقيقة الكتاب – ١١٦ صفحة – دار الريحاني بيروت
- الطائر – الجزء الثالث – ٤٨٠ صفحة – دار الريحاني بيروت .
- الوالد الصالح – ٨٨ صفحة – دار الريحاني بيروت

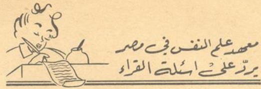
ظهرت حديثاً ثلاثة كتب من وضع الاب الياس ثابت العشقوتي اولها « كشف النقاب عن حقيقة الكتاب» بل الكتب الاربعة الاخيرة من الجزء الثاني من « كشف النقاب » المذكور . وقد كلف صاحبه عشرين عاماً قضاها بالبحث والتنقيب ومطالعة العديد من المصنفات الاجنبية بهذا الموضوع ، فجاء مختصراً مفيداً لطلاب اللاهوت والمعنيين بهذه الدراسات العلمية – التاريخية – الانتقادية حتى اكتمل انشاؤه بجزءيه الاثنين ، بشكل متقن وبعبارة سهلة تنسجم والمعنى . وهو ضروري لطالب اللاهوت لاستكمال دراسته اللاهوتية من نواحي التاريخ والعلم والفن . وثمنه ثلاث ليرات ونصف لبنانية .

اما الكتاب الثاني فهو الجزء الثالث من «الطائر» المتضمن ما يقرب من الثلاثمئة مقال وقصة تعالج الدين والعلم والوطن وذلك باسلوب نزيه رفيع تسامى الواضع فيه عن الانزلاق في مهاوى السياسة الضيقة والتعصب الديني المقيت .

ويتبع كتاب « الطائر » كتاب « الوالدالصالح» الموضوع في اليونانية عند بداية القرن الحالي والمترجم الى الايطالية عام ١٩٢٩ بقلم الاب جبرائيل ماريا الحلبي الكبوشي ،الذي اقتبس ثقافته من مدرسة الرهبانية الحلبية اللبنانية المارونية في روما وعلّم في عدة مدن ايطالية منها معهد باليرمو حيث ترجم هذا الكتاب النفيس الموضوع على طريقة الحوار بين والد وابنه مقسماً اياه الى ليال بلغت السبع والثلاثين وهي تحتوي ألزم النتائج الادبية والتربوية ، والواضع صحافي سلخ خمساً وعشرين سنة في خدمة الصحافة كما اشار الى ذلك في مقاله الاخير في «الطائر» .

وثمن الكتابين « الطائر » و « الوالد الصالح » سبع ليرات لبنانية وتطلب هذه الكتب من المكتبات الشهيرة ومن صاحبها الموجود حالياً في دير سيدة الوطا بالقرب من مدينة جونية بلبنان .

- قيثارة الريح – مجموعة شعرية – لمحمود فتحي المحروق – ١٢٦ صفحة – مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل العراق .
- انطون تشيخوف ، بمناسبة الذكرى الخمسينية لوفاته – لشاكر خصباك – دراسة ، قصص ، مسرحيات – ٢٠٤ صفحة – منشورات الثقافة الجديدة ببغداد .
- الكتاب المقدس ، العهد الجديد – نقله عن اليونانية وعلق عليه الاب جورج فاخوري البولسي – ٥٤٢ صفحة – ورق ناعم – اخراج متقن مع تجليد لطيف – المطبعة البولسية في حريصا لبنان .
- عبد الباقي العمري ١٢٠٤ هـ – ١٢٧٨ هـ – سياحة فكرية في ديوانه الترياق الفاروقي – لمحمود الملاح – ٣٤ صفحة – دار منشورات البصري – مطبعة اسعد ببغداد .
- مسبحة الراهب – قصة – ليوسف يونس – ٣١٨ صفحة – مطابع سميا ببيروت .
- مؤتمر الدفاع عن حقوق شعوب الشرق الادنى والاوسط – ٦٤ صفحة – مطبعة النجاح بيروت .
- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر – جمع شعره وحققه دكتور حسين نصار – ١٠٤ صفحة – سلسلة عيون الادب العربي – منشورات مكتبة مصر بالقاهرة .
- سبحات الروح – الجزء الثالث من ديوان عبدالسلام رستم – ١٤٤ صفحة – مطبعة عبده وانور احمد بالقاهرة .
- ثمن اسرائيل لالفريد ليلينتال – ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري – ٢٤٧ صفحة – منشورات كتاب الملايين بيروت .
- الملك سعود – لمحمد السلاح – ٢١٦ صفحة – مطبعة الشرق انطوان لحلوح وشركاه بحلب .
- محاولة في قانون مسيحي للعمل – نصوص من الاخبار الاعظمين جمعها ونسقها المنسيور كسافاروس كارتشيولو – نقلها الى العربية الاب يوحنا كوكباني – ٣٦ صفحة – منشورات الرابطة الكهنوتية بيروت .
- البرج الاخضر – مجموعة شعرية – ليوسف اسعد غانم – ١١٢ صفحة – مطبعة صفدي التجارية بسان بولو البرازيل .
- اقطاب المدرسة الرومانسية : روسو ، غوته وشلر – ليوسف عبد المسيح ثروة – ١٤٣ صفحة – في سلسلة تراجم ودراسات غربية – منشورات الرواد بدمشق .



على كل من يريد ان يتوجه الينا بسؤال ان يتكرم بارساله
الى : مصر – القاهرة – المنيرة
٢٣ شارع امين باشا سامي
الدكتور ابو مدين الشافعي مدير معهد علم النفس

*

نرجو من القراء الا يطيلوا في اسئلتهم بدون داع حتى لا يضيع الوقت في التفاصيل التي لا تفيد وان يشرحوا حالاتهم وغرضهم باختصار حتى لا نضطر الى اهمال اسئلتهم .

***

● ع . – البرازيل

بلغت من العمر سبعة وعشرين عاماً وحتى الان لم اتعلم « التدخين » ومنذ شهر تقريباً اخذت تراودني فكرة « التدخين » حاولت ان ابعد عن ذهني هذه الفكرة ولكني احس برغبة عميقة في قرارة نفسي تدفعني لان أتعلم التدخين. فما هو الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق الذي اقف امامه حائراً؟

– لا شك ان حالتك في الظاهر تعتبر حالة طفيفة ، ولكنها بعد التأمل تبدو حالة مهمة وطريفة في نفس الوقت . ان اتجاهك الى التدخين على غير رغبة منك اتجاه يدل على رغبة الخروج عن بعض القيود النفسية او الاجتماعية وانت في سن تريد التحرر فيها من ضغط الاهل . وظهرت هذه الرغبة في التحرر في صورة رغبة القيام بالتدخين ومخالفة النظام الذي وضعته لنفسك . واخشى ان وقعت في الفخ واقبلت على التدخين وارضيت رغبة التحرر بهذا الفعل المضر الا تشعر بعد ذلك برغبة التحرر الضروري لنمو شخصيتك .قاوم التدخين وحرر نفسك من القيود المعروضة عليك لتتخلص من الشعور بالنقص والتعلق الزائد بالذات وما ينتج عنه من ميول الارضاء بالاكل والنوم والافعال الجنسية . وبذلك ستبدأ حياة انسانية راقية حقاً .

● ك . ه . ط . – بغداد

أشعر بفراغ موحش ووحدة قاتلة رغم اختلاطي بالمجتمع وكثرة الاصدقاء فصرت اكره الحياة بكل مباهجها واحس بالآلام والتشاؤم. واحياناً اكره نفسي ووجودي في هذا العالم . تراني يتملكني الحزن حينما استمع الى قطعة موسيقية او غنائية وربما حاولت البكاء لولا الخوف من الخجل ! واقول لنفسي ان كانت الموسيقى تحزنك وتؤلمك لم لا تبتعد عن سماعها ولكني لا اقدر على ذلك بل اهرع الى الراديو لاسمع فما السبب ؟ – هب انني على سفر لبلدة ما فما ان اصل الى تلك المدينة سواء كانت بعيدة او قريبة حتى يتملكني شعور ورغبة بالرجوع الى اهلي وتلازمني حالة من الضيق والضجر والحنين الى اخواني ووالدتي طول السفر .

– اني ارى في حالتك صراعاً بين الانطواء على النفس والرغبة في الخروج الى المجتمع . وانت واقف في نموك عند مرحلة التعلق بالام وانت عاجز في تحقيق الانتقال الى مرحلة الاستقلال الذاتي . وهذا الصراع يستنفد من طاقتك قدراً كبيراً ويعرض ارادتك الى الضعف ويجعلك تشعر بخوف مبهم من الحياة ومن المسؤولية . تحب الموسيقى كفن ولكنها تثير في نفسك الميول الانطوائية وتجعلك تشعر بالحزن ، فلا تحاول ان تكره نفسك على التحول السريع واقتنع بضرورة الاستقلال وحاول القيام بالاعمال التي تزيدك ثقة بنفسك فذلك غذاء لشخصيتك الجديدة .

مؤتمر للادباء العرب

عقدت « رابطة الكتاب السوريين » – لمناسبة مرور ثلاث سنوات على تأليفها – اجتماعاً عاماً . وقد عقدت جلستان بدمشق ، فخصصت الاولى لبحث القضايا الفكرية والثانية لبحث القضايا التنظيمية .

وقد تلي في الجلسة الاولى تقرير عن النواحي الفكرية ، عرض الى نشوء الرابطة بسبب الخطر الذي يهدد ثقافتنا الوطنية في قوميتها وانسانيتها ، كما عرض الى اثر الرابطة في اعضائها من حيث التثقيف والتوجيه ، واثرها في الاخرين بما قدمته من انتاج عن طريق الكتب التي اصدرتها والمحاضرات والاحاديث التي اذاعتها وتأييد الشعب ، ان في سوريا او في لبنان والاقطار العربية ، لعمل الرابطة وإقباله على كتبها وابداء الكثير من مواقف التشجيع لانتاجها والاستحسان لشعارتها واهدافها ، مما يضع الرابطة امام مسؤوليتها التامة لتبرير هذه الثقة الغالية التي اولتها اياها جمهرة القراء .

ثم اشار التقرير الى دور الرابطة في اثارة مسألتي الالتزام والواقعية في الاتجاه الادبي الجديد ، ودفاعها عن الحرية والسلام في اشد الايام حلكة وطغياناً .

وتلي في الجلسة الثانية تقرير تنظيمي ، ثم جرت ، في الجلستين مناقشة واسعة اتسمت بروح الاخوة والصدق والصراحة ، تناولت اموراً فكرية وتنظيمية مختلفة ، وتوجه الاهتمام بصورة خاصة الى تطوير عمل الرابطة ، وضرورة انتاج الواقعية الحية التي تصور ما هو كائن لتدعو الى ما يجب ان يكون ، والسير على مبدأ الالتزام الثقافي الناشيء عن تحسسنا بقضايا وطننا وشعبنا ، وايماننا بقضية الحرية والسلم ، وشعورنا بمسؤوليتنا العظمى ككتاب وادباء حيال الاخطار والمشاريع والاحلاف التي تهدد وطننا بالاحتلال والخراب .

واعطى المجتمعون اهتماماً خاصاً وعناية قصوى لموضوع الادب العربي القديم وضرورة العمل الجدي لاحياء النير من تراثه والثمين من مؤلفاته، عن طريق شرحها ونشرها في طبقات جديدة .

كما اعطى المجتمعون انتباهاً تاماً لمسألة التأليف والترجمة في عمل الرابطة ، فوافقوا على منح التأليف اهتماماً اساسياً ، جعل المترجمات التي تضطلع بها الرابطة على اساس الاصطفاء وتخير افضل الاثار العالمية التي يمكنها ان تسهم في خدمة ادبنا ووطننا وشعبنا ، وتغني ثقافتنا الوطنية عن طريق تفاعلها بها .

وقد اختتمت الجلسة الثانية لاعضاء الرابطة باتخاذ قرار هام سيكون له اثره الطيب في دفع الحركة الادبية الى امام ، وتمتين صلات العمل المشترك والتبادل الثقافي بين ادباء سوريا وادباء الاقطار العربية واقطار العالم . وهذا القرار هو مبادرة رابطة الكتاب السوريين الى دعوة كتاب وادباء الاقطار العربية الى مؤتمر عام يعقد في دمشق لتنسيق الجهود وبعث النهضة الادبية بعثاً جديداً قائماً على اساس المعاونة والمبادلة الثقافية المستمرة ، واقامة مهرجان عام بعد المؤتمر تعرض فيه نماذج من الانتاج الادبي التقدمي ، وتلقى قصائد وخطب للكتاب العرب ، وذلك في السادس من الشهر الحالي .

دمشق **رابطة الكتاب السوريين**

جولة الأديب في شهر

معهد الدراسات الشرقية في الاتحاد السوفياتي

بقلم ف. فلاديميروف

ooo

في العام القادم يكون قد مر ربع قرن على تأسيس معهد الدراسات الشرقية لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي . فقد انشىء هذا المركز للابحاث العلمية عام ١٩٣٠ على اساس متحف آسيا المؤسس منذ عام ١٨١٨ وغيره من المنشآت العلمية الاستشراقية .

ومهمة هذا المعهد اجراء دراسة عميقة لتاريخ الشعوب الشرقية واقتصادها وادبها ولغاتها ، دراسة تتبع الترتيب الزماني ، منذ منشأ حضارة الشرق القديم حتى ايامنا هذه .

وفي المعهد اقسام يتركز فيها كل العمل العلمي على البلدان ومن هذه الاقسام قسم بلدان الشرق الادنى والاوسط .

ان القسط العظيم الذي اداه الشعب العربي الى كنز الحضارة العالمية هو الذي يفسر اهتمام شغيلة الاتحاد السوفياتي المتزايد ببلدان الشرق الادنى ، مما يتطلب بقوة ، بدوره ، تكويناً اوسع للعلماء المستعربين .

ان معهد الدراسات الشرقية لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي هو من المنشآت التي تكون ملاكات علمية بواسطة جماعات من الطامحين الى الدرجات الجامعية . وسنتكلم هنا عن تكوين المؤرخين والاقتصاديين وعلماء اللغة المستعربين ، ويقبل في جماعة الطامحين الى الدرجات الجامعية ، الطلاب الذين انهوا معاهد الدراسات الشرقية او الكليات الشرقية في الجامعات ، واوصى بهم مجلس العلماء . ومدة الدراسة هي ٣ سنوات .

وفي غضون الشهور الثمانية عشرة الاولى ، يمر الطامحون الى الدرجات الجامعية بامتحانات على الحد الادنى من المعـــارف المطلوبة منهم قبل البدء بتحضير الاطروحة : الفلسفة ، والمادة التي يختص بها الطامح ، واللغة العربية ، ولغة غربية .

ويعمد الطامحون الى الدرجات الجامعية ، تعميقاً لمعارفهم ، الى كتابة تقارير او مؤلفات علمية عن مسائل او قضايا من اختصاصهم ، وهذه التقارير تساعدهم مساعدة كبيرة على العمل بالاطروحة ، وبتحضيرها يتعلم الطامحون كيف ينتقون المطبوعات وكيف ينظمونها وكيف يستفيدون منها . وبذلك يكتسبون عادات العمل العلمي المستقل .

والعلماء المستشرقون ، بقيادتهم دراسات الطامحين الى الدرجات الجامعية ، ينقلون اليهم التجربة وعادات العمل ، ويعطونهم المشورات الدائمة في جميع المسائل التي تنجم اثناء تحضير اطروحاتهم ، وهناك علماء مستشرقون سوفياتيون معروفون يوجهون الطامحين الى الدرجات الجامعية في اعمال تحضير اطروحاتهم نذكر منهم الاكاديمي ف . غورد ليفسكي ، والعضو المراسل لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ا . بيرتيلس ، والبروفسور ب . زاخودير ، الدكتور بالعلوم التاريخية ، ول . فاتولينا ، وف . بيلياييف ، وا . بيلياييف وغيرهم .

ان تحضير العلماء المستعربين في معهد الدراسات الشرقية لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي يجري على صعيـــد دراسة البلدان وعلى الصعيد اللغوي . فلقسم بـــلدان الشرق الادنى والاوسط فرعان : فرع التاريخ والاقتصاد ، وفرع اللغة والادب وفيهما يعطي علماء المستقبل فترة تدريبهم كطامحين الى الدرجات الجامعية . وتشكل مواضيع اطروحاتهم جزءاً من القضايا التي يعكف عليها باحثو المعهد : ففي دراسة البلدان مثلاً نجد الاطروحة التي عنوانها « ثورة ١٩٢٠ في العراق » ، وهو مؤلف عن نهوض نضال الجماهير الشعبية العراقية في سبيل تحررها الوطني في ظروف ازمة الاستعمار في الشرق الادنى والاوسط ، واطروحـــة « المرحلة الاولى للحركة الاصلاحية الاسلامية في مصر » و « السياسة الزراعية الفرنسية في تونس » ، و « حياة الكواكبي العامة وكتاباته » ، الخ ؛ وكذلك المؤلفات اللغوية التالية : « حياة عمر فاخوري وعمله » ، و « طه حسين » ، وغيرها .

ويدرس ايضاً في قسم التاريخ ، نشوء الخلافة العربية وازدهارها وسقوطها . ويواصل الطامحون الى الدرجات الجامعية تقاليـد المستعرب الروسي الشهير ا. كراتشكوفسكي فيقومون بالابحاث والدراسات عن مؤلفات الكلاسيكيين العرب .

وتحت تصرف الطامحين الى الدرجات الجامعية مكتبة معهد الدراسات الشرقية ، ويناهز عدد الكتب التي فيها مليون مجلد .

ويستطيعون الاستفادة من مجموعة المخطوطات الغنية جداً التي وضع متحف آسيا اسسها . ولدى المعهد ايضاً ارشيفات فيها وثائق ومراسلات المستشرقين الروس الكبار والعديد من المستشرقين الاجانب. وتمثل « السجل الشرقي » فيها المطبوعات الجديدة لمؤلفات الادب العربي ، ومجموعات الكتب المطبوعة قديماً والمطبوعات الحجرية والنقوش الخشبية. وفي المكتبة كتب مطبوعة في مطبعة مديتشي الشهيرة ، ومطبوعات حلبية تعود الى القرن السابع عشر ، وكتب مطبوعة في مطبعة بولاق (المطبعة الخديوية) . ويملك المعهد عدة الوف من المخطوطات الاسلامية، فضلاً عن المخطوطات الفارسية والتركية والارمنية والحبشية والسريانية والقبطية وغيرها. ولدى المعهد غرفة عربية تحمل اسم ا. كراتشوفسكي ، انشئت بقرار من ديوان رئاسة اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي .

وفي المكتبة مجموعات من المجلات والجرائد ، والمعهد مشترك في عدة مجلات وجرائد عربية .

ويشترك العلماء المستشرقون المقبلون اشتراكاً نشيطاً ، اثناء دراساتهم ، في حياة المعهد العلمية . مثلاً يشترك معظم الطامحين المستعربين في وضع الكتاب المشترك « حركة التحرر الوطني في البلدان العربية بعد الحرب العالمية الثانية » ، الذي يكتبون منه بعض الفصول . وفضلاً عن ذلك يضربون بسهم وافر في مناقشة المسائل العلمية في فروع القسم ، وينتقدون ايضاً المؤلفات العلمية في مادتهم .

ولسوف يكون كل نشاطهم العلمي المقبل مرتبطاً بدراسة البلدان العربية : دراسات عن بعض قضايا التاريخ والاقتصاد والادب وتاريخ الحضارة، وترجمات للمصادر الرئيسية ولمؤلفات اكبر العلماء العرب منذ العصور القديمة حتى ايامنا هذه، ووضع كتب مدرسية وقواميس .

وكل هذا سيساعد على توسيع معارف الشغيلة السوفياتيين عن هذه البلدان التي يتجه عطفهم نحو شعوبها العربية المناضلة من اجل استقلالها الوطني .

موسكو ف. فلاديميروف

اليونسكو وحماية الحضارة الانسانية من شر الحرب

خاصة بمجلة الاديب

°°°

تحدث صحف العالم منذ منتصف الشهر الماضي عن هذا المؤتمر الدولي الذي سعت منظمة اليونسكو لعقده في قصر السلام بمدينة لاهاي بعد ان دعت دولها الاعضاء الى الاشتراك فيه لتوقيع اتفاقية دولية تقضي بحماية الآثار التاريخية والفنية والثقافية في مختلف بقاع العالم في حالة قيام حرب مسلحة وقد خرجت هذه الاتفاقية الى النور منذ الرابع عشر من شهر مايو ١٩٥٤ بعد ان وقعت عليها ٣٨ دولة، وسيظل باب التوقيع عليها مفتوحاً حتى آخر يوم من هذا العام ، على ان تصبح نافذة بعد ثلاثة اشهر من التصديق عليها من خمس دول .

ولهذه الاتفاقية تاريخ طويل ، فقد ادرك العالم خلال الحرب العالمية الاولى ضرورة اتخاذ اجراءات قانونية تكفل حماية الآثار ففي عام ١٩١٨ وضعت (الجمعية الهولندية للحفائر) تقريراً هاماً اوصت فيه بضرورة اتخاذ مثل هذه الاجراءات الواقعية في وقت السلم ، واشارت الى ان حماية الاعمال الفنية تقتضي «تعبئة» سلمية لا تقل اهمية عن التعبئة العسكرية .

واخذت معالم هذه « التعبئة » تتضح شيئاً فشيئاً منذ ذلك الوقت ، حتى كان عام ١٩٢٢ ، فتألفت لجنة لدراسة القواعد الدولية الخاصة التي يمكن بمقتضاها حماية الآثار من القنابل الجوية. وفي عام ١٩٣٥ وقع في الولايات المتحدة ميثاق اقليمي لحماية منشئات الفن والعلم . ثم وضعت بعدئذ عصبة الامم برنامجاً يقضي بايواء الآثار الثقافية القيمة في اماكن امينة بعيدة عن لهب الحرب ، على ان تتمتع هذه الامكنة بحصانة دولية حقيقية . غير ان برنامج عصبة الامم جاء متأخراً ،فقد نشبت الحرب

العالمية في عام ١٩٣٩ فتعطلت اعمال العصبة والمفاوضات الدولية التي كانت في طريقها الى تحقيق ذلك البرنامج . وعلى الرغم من كل هذا ، لم تذهب هذه الاعمال عبثاً ، فبفضلها قررت عدة حكومات ، منذ الحرب الاخيرة ، اتخاذ بعض الاجراءات التي كانت تدرسها عصبة الامم ، بل وبفضل هذه الجهود ايضاً استطاعت اليونسكو بعدئذ ان تستأنف دراسة مشروع اتفاقية دولية في هذا الصدد ، آملة ان تصل في العام الحالي الى وضع ايجابي».

وقد درس الخبراء مظهري مشكلة حماية هذه الآثار في حالة قيام حرب مسلحة ، ونعني بها حمايتها المباشرة عن طريق اتخاذ اجراءات واقية ، وحمايتها القانونية بتوقيع عقاب على المعتدين عليها .

كل هذه الاجراءات يتضمنها مشروع اتفاقية اليونسكو ، وهو المشروع الذي ارسل الى الحكومات ، فاجابت هذه بمقترحاتها وملاحظاتها عليه . وقد نوقشت الوثائق المختلفة في المؤتمر الدولي الذي انعقد في قصر السلام بمدينة لاهاي .

واليوم قد انتهت اعمال مؤتمر لاهاي وتبين لنا ان حكومات العالم مستعدة للموافقة في حالة الحرب على «عدم استغلال المنشآت الثقافية في اغراض يمكن ان تعرضها للتدمير او التشويه» ، وعلى تدبير الاجراءات اللازمة — في وقت السلم — لحماية الآثار الثقافية الواقعة في اراضيها .

هذا ، وتكفل الاتفاقية لبعض الآثار والابنية التاريخية حماية خاصة ، على ان تزود بالضمانات الدولية الكافية الاشخاص الذين سيناط بهم حراسة هذه الكنوز الثقافية .

وتقول مقدمة الاتفاقية : « ان حماية التراث الثقافي تتعلق بجماعة الدول ، وعلى الحكومات عامة ان تتخذ جميع الاجراءات اللازمة لحماية الآثار الثقافية ففي اصابتها ما يؤدي الى فقر روحي ينال الانسانية بأكملها . وان الشعوب التائقة نحو السلام لترقب منذ الازل تحقيق مثل هذا الاتفاق الدولي » .

واذا كانت اليونسكو تعلق كل هذه الاهمية على انشاء « صليب احمر » للكنوز الثقافية في العالم ، فلأنها تدرك ان الآثار التاريخية والاعمال الفنية والثقافية التي تعتز بها كل دولة اعتزازها بأرضها ، لا تعتبر ملكاً موقوفاً على الدولة وحدها ، بل تعد كنوزاً للانسانية المتحضرة بأكملها ، بل لأن اليونسكو تدرك ان هذه الآثار الحضارية لم تكن لسوء الحظ بعيدة عن شرر الجيوش في الحروب الماضية ، وهي نفس الجيوش التي عادة ما تحارب باسم الثقافة والحضارة .

ويكفي ، كي نقدر مع اليونسكو قيمة هذه الاتفاقية الحضارية الدولية ، ان نتصور ثقل وسائل التدمير الحديثة على المنشآت الثقافية والاعمال الفنية ، وهي اعز بل كل ما تملكه الانسانية من تراث . وجدير بالذكر هنا ان نردد قول المراقب المصري في مؤتمر لاهاي ؛ فقد عبر عن عميق امله في ان يأتي يوم قريب توقع فيه الدول جميعاً على اتفاقية عالمية تحرم استخدام القنبلة الذرية .

كما نذكر بهذه المناسبة ان الدول العربية قد وقعت على مواثيق هذه الاتفاقية ، وقد صرح لنا مندوب لبنان الاستاذ شارل عمون الذي وقع على الاتفاقية اخيراً ، بقوله : « ولا عجب ان قدرت البلاد العربية قيمة هذه الاتفاقية تقديراً عميقاً خاصاً ، فهي البلاد التي كانت مهداً لاعرق الحضارات والثقافات وهي البلاد التي ما زالت بكنوزها الفنية والاثرية متحفاً عالمياً يحج اليه محبو العلم والفن والتاريخ من اركان الارض جميعاً ، بل وهي البلاد التي لها وراء البحر والافق آثاراً في انحاء مختلفة من العالم تخلد مجد الشرق العربي العريق » .

[قسم الصحافة العربية باليونسكو]

برينه هويج ومسألة الفن

بقلم مارسيل بريون   ترجمها عن الفرنسية : م . ع .

°°°

كلما التقيت برينيه هويج ، بهرني ما اجد عنده من انسجام وتناغم بين مختلف المواهب المتباينة . وهو يدهشك بحيويته ، وشبابه الدائم ، واندفاع طبعه المتقلب القلق العميق ، وعفويته الصادقة ، لقد زرته اليوم في غرفته بمتحف اللوفر فخيل الي ان الجدران نفسها تعجز عن تقييد انطلاقه وحريته . وكنا نطل ، من النافذة ، على منظر شاسع ، تتخلله الاقواس والسهام والقباب والسطوح ، فتوحي بلانهاية المكان والزمان . وغني عن القول ان ثقافة هويج ، وفضوله العلمي ، مثل اللانهاية عمقاً ومدى . ومن النادر ان تجد ثقافة كاملة معمقة تفوق ثقافة هويج بما يرفدها من ذهن مبدع اصيل ، ومفهوم عن الاشياء ، ذاتي الى ابعد حدود الذاتية ، يشمل مختلف الافكار والاشكال . كما ان له ذكاء نابغاً طريفاً يلتقط جميع الاضواء ، ويجدد

كل الموضوعات ، بالطريقة الجديدة التي يعتمدها في البحث والتذوق . وهكذا يوفق رينيه هويج بين الرسوخ والخفة ، والصلابة والعفوية ؛ ونحن نعرف ان الخفة ، بهذا المفهوم من الفضائل التي كان يتعشقها نيتشه ، فيقول فيها :

« ان اليونان بلغوا من العمق حداً جعلهم يبلغون الخفة. »

*

منذ اول عهدي بهويج ، وكتبه ، ومحاضراته ، قر رأيي على ان ثمة عدداً قليلاً من مؤرخي الفن ونقاده يتمتعون بمثل ما يتمتع به هويج من الاحساس المرهف بالجمال الذاتي الذي ينطوي في الاشياء ، وبالسحر المغنّي ، والاسرار اللامتناهية ، وقل ان نجد مثيلاً لهويج في اهتمامه بتحليل عناصر الرائعة الفنية ، على اختلاف هذه العناصر وتباينها ، لكي يحسن فهم الرائعة ، من طريق العناصر التي تكونها .

ويتضح لنا هذا في نشاط الاستاذ هويـــج الذي يعمل في ادارة اللوفر وفي المحاضرة. وقد التحق بمتحف اللوفر عام ١٩٢٧ وهو اليوم الامين العام لهذه المؤسسة العالمية ، وهو ايضاً المشرف على قسم اللوحات الزيتية ، والرسوم ، وهذا ما يساعده على اقامة احتكاك مباشر « بالشيء الفني » ، وهو احتكاك يتطلب ، في وقت واحد ، معرفة حسية وخبرة فنية ، وثمة نشاط آخر يمارسه هويج ، وهو البحث عن القوانين التي تتحكم بولادة الاثر الفني ، وتأسيس منهج لدراسة الفن ، يكون من شأنه توسيع حقل الجمالية . ورينيه هويج . في محاضراته بالكوليج دي فرانس يكاد يحصر دراساتـــه في بسيكولوجية الفن ، وهي موضوع حديثي مع الاستاذ .

سألت هويج ، في مطلع حديثنا : هل تستطيع ان تقدم لي فكرة عامة عن موضوع محاضراتك ، في خطوطها الاساسية؟

— إن الاثر الفني يملأ وعي خالقه ، ولاوعيه ، على نحو يحتم على دراسة بسيكولوجية الفن توجيه نشاطها في اتجاهين اثنين : نستطيع النظر الى بسيكولوجية الفن انها امتداد للاثر الفني ، وتعميق له . فعلينا ان نعي اعظم الوعي ما قد نكتشفه من صلات حية ناشطة بين الفن وجميع الظروف او الظاهرات في عصر من العصور ، او مدنية من المدنيات. فاذا استطعنا ابراز المبدأ الواحد الذي يتحكم بجدلية الاثر الفني مع العصر او المدنية ويشرحها ، اذا استطعنا تحليل الصور التي يخلقها الفنان ، وذلك لبلوغنا المعطيات الدائمة وتفسيرها ، عندئذ نستطيع الوصول الى تحديد وتعريف بل الى تفسير شخصية الفنان .

— يجب استخدام جميع اساليب التحليل النفسي ، في هذه الدراسة ، أليس كذلك ؟

— طبعاً . ان علم النفس الحديث باكتشافه ، اول الامر ، وجود اللاوعي واهميته في الحياة النفسية ، ثم باعتماد التحليل النفسي لانشاء اساليب تجوب آفاق اللاوعي ، بدأ اليوم يتبين الصلات الوثيقة السحرية بين الصور والكائن الذي يتصورها .

ولكنني اظن ان فرويد ، وقد كتب صفحات قيمة في القضية التي تتحدث عنها (وبخاصة في كتابه ليوناردو دفنشي) باحث منهجي ، ضيق المنهجية ، ولا شك انك تشاركني هذه النظرة الى فرويد ، واظن انك اقرب الى بودوان الذي قال « ان الفنان ينفعل ، ويجابه حياته النفسية برد فعل منسوج من تصور خيالي ، بدلاً من مجابهتها بعمل خارجي » والذي قال : « انـ العمل الفني كالحلم ، هو فعل متجه الى داخل الذات » واظنك اقرب الى يونج .

— ان الزخم الحيوي في نظر فرويد ، هو خاصة ، زخم جنسي . اما يونج فيحس بأن هذا الزخم تذكيه مختلف الميول التي يمكن ان تلم بالكائن البشري ، ابتداء من الغريزة البهيمية العكرة ، حتى ارقى انواع الاستعلاء الروحي .

لم تكن بعيداً عن اساليب يونج حين حللت ثنائية دي لاكروا « هذه الثنائية التي لمسها معاصروه ، حتى في مظهره الجسدي ، حيث كانت الروحانية تختلط بنـــوع من البهيمية الوحشية الكاسرة . » ونحن نجد هذه الثنائية في حياته النفسية الداخلية ، التي تنطوي على فكر رفيع منظم اجمل تنظيم يمتزج بغرائز ساعرة عنيفة » وبهذا الشيء الاسود المجهول الذي ينفتح في اعماق نفسه طالباً اليه الارتواء . وكذلك فقد نجحت في استعادة التاريخ الحقيقي لسير اثار «فيرمير» و«واتو» وذلك بدراسة الخصائص الثابتة النابعة من اختيار الموضوعات والاشياء ، والالوان ، بصورة خاصة .

لقد اخذتني دهشة عظيمة حين قرأت كتابك عن شاعرية فرمير ، وادهشتني ما اكتشفت من اثر حياته الداخلية وانعكاسها على تطور اساليبه والوانه ، والتحليل الذي قمت بـه للتطور الروحي في الشكل واللون ، عند فرمير يكشف اعمق الكشف عن العالم العميق السحري في حياة هذا الفنان . ولقد اثبت ان فرمير اكتشف اللون الاصفر (الذاتي الخاص به طبعاً) ابتداء

من لوحته « الوسيطة » عام ١٦٥٦ . وهذا الاصفر اثار في نفس مارسيل بروست رنات مرهفة .

– في ذلك التاريخ ، كان اللون الاحمر لا يزال ينافس الاصفر ، في لوحات فرمير ، وكان ثمة توازن بين الاخضر والاحمر . وقد بينت الانفصال النهائي ابتداء من لوحة « بائعة اللبن » حيث بدأ التناغم اللوني الازرق – الاصفر يخلف الأخضر الكامل والاحمر المنحل .

ثم بلغ الفنان اشده ، واكد هذا الكمال وتلك القدرة ، بصفاء فني ناعم رقيق ، مذاب ، وبساطة تامة تهيمن على الوسائل فكان انسجام اللونين الازرق والاصفر ، وكانت الموضوعات المبسطة في اكثر الاحيان ، حتى لتنحصر في شخص واحد ، مبرزة ببهرة الماس ، واللؤلؤ والياقوت ، معتمدة على زينة بسيطة وتفاصيل مختصرة ؛ وحين مرض فرمير ، واشرف على الموت رأينا عمله الفني يتثاقل ، ويمتلىء بعناصر غريبة ، مشوشة ، فهنا ستائر كثيرة ، وهناك تراكم اشياء والوان ، اما اللون فتحولت اجواؤه الزاهية الى اجواء سمراء بكماء ، او بنية ربداء ، تزداد كآبة وتوحشاً ، طامسة ما كان يهيمن على القيم الفنية الفيرميرية من اناقة وصفاء .

– اظن انك ابديت ايضاً ملاحظات مهمة حول تطور التوقيع عند فرمير ، تطوراً متوازياً مع فنه واساليبه اللونية وهذا ما يذكرني ببحثك « في بسيكولوجية الفن » حيث قارنت – من الناحية النفسية – بين خط الفنان وطريقته في التصوير .

– اجل ، فالتصوير نفسه نوع من انواع الخط . وكل عنصر من عناصر الخلق والابداع ، عند الانسان يخضع لاقداره النفسية الداخلية ، ولمزاجه وطبيعته ، وتصورها .

– هذا ما عبرت عنه احسن تعبير في اوضح تعبير ، وادقه ، اذ تقول « ان الاثر الفني شكل ، ولكن هذا الاثر هو ايضاً ، وبالضرورة ، رمز وايحاء . وهكذا يلعب الفن على صعيدين : في الاتجاه الشكلي المادي ، وفي الاتجاه الرمزي الموحي ، وهذين العنصرين يصدحان منسجمين متحدين مثل وترين يرنان في آلة « موسيقية واحدة » . وكتابك الجميل عن « الرسم الفرنسي » يتيح لمن يريد اتباع افكارك الفنية ، اكتشاف بسيكولوجية التصوير والخطوط ، بالنسبة الى كل فنان ، على حدة .

ليس الاثر الفني عرضاً خارجياً للكائن وحسب ، ولكنه خاصة ، نتيجة هذا الكائن ، ومنتهى ارادته في الاتجاه نحو الخارج وفي التدفق والتجلي ، وفي خلقه نفسه وابداعه مصيره . والاثر الفني كامل ، مستقل في شكله ، ورغم ذلك فهو لا يوجد الا بمقدار علاقته المتفاعلة مع الفنان ، وحياته النفسية الداخلية .

واني استعمل تعبير « علاقته المتفاعلة » لانه يحترم استقلال الاثر الفني ، وانطلاقية اشكاله الذاتية ، وتحولها وتطورها ، ولكن هذا التعبير يشير من ناحية ثانية ، الى هذه العلاقة الوثيقة التي تصل الاثر الفني بخالقه . فاذا نجحنا في اثبات هذه الصلة ، اثبتنا عندئذ وجود بسيكولوجية الفن ومبرراتها .

– يسرني انك مستمر في خدمة هذه الطريقة الفنية الغنية ، سواء في مؤلفاتك المعمقة التي تثير الحماسة الفنية وترهف الذوق الجمالي ، او في محاضراتك الشاملة . وهذا ما يخلق مدرسة من البحث الفني لمعرفة « الشيء » الجمالي ، والفلسفة الجمالية .

– من الضروري الاشارة الى اننا بتفكيرنا ، وحساسيتنا ، نرد بفعل نفسي على نفوذ العالم الخارجي الينا ؛ وبارادتنا واعمالنا نحمل انفسنا ، في اتجاه معاكس ، لندخلها ذلك العالم . وهكذا نشأ من هنا – اذن – نوع من المد والجزر الدائمين ، ونوع من الصراع المستمر المتقلب . وبين هاتين القوتين المتفاعلتين نجد ان الاثر الفني يخلق وساطة عجيبة بل معجزة تصدر بأصولها عن كلا القوتين . فمن عالم الواقع يستعير الاثر الفني ، المكان ، والمادة ومنه يتخذ نموذجه ، في اكثر الاحيان ، وفي عالم الواقع يتخذ له مكاناً بوصفه شيئاً ملموساً . ولكن الاثر الفني هو في الوقت نفسه شيء اراده الانسان ، فابدعه ، وطرقه ، فالاثر الفني صورة الانسان ، صورة ذوقه وميوله ، ورغباته ، ومفاهيمه ، وصورة ما يعجبه وما يؤرقه ويرهبه ، فبين قوتي الذات والموضوع يشكل الاثر الفني جسراً هو وحده الطريق الى اجتياز الهوة والفراغ بين الانسان والكون .

– آسف لانني لم استطع الاستماع الى محاضراتك ، فهل لك ان تعيرني نصها المكتوب .

– ليست محاضراتي مكتوبة ، لانني اعتمد بعض الملاحظات والعناوين لالقاء الدروس والمحاضرات ، فالكتابة ، والحديث يتطلب كل منها شكلاً خاصاً به وثمة بسيكولوجية كل منها تختلف عن بسيكولوجية الآخر . فالكتابة يجب ان تنصب في شكل فني ادبي يجمع اعظم قدر من التركيز ، ويكون نهائياً كاملاً : ويجب ان يكون اصغر حجم ممكن ينطوي على اعظم قدر من

التعبير . اما الحديث فعلى العكس ، فهو ايحاء، ولذلك يستطيع بل يجب عليه ان يستخدم الوسائل الخطابية – الراقية – انه محاولة مبدئية ، بل مشروع نمضي به الى الامام ، فنكمله اثناء الحديث ، ونتراجع عن بعض نتائجه ، ثم ننعطف ، ويكون التكرار احياناً من مستلزمات المحاضرة والحديث . وخطأ التدريس في فرنسة ان المربين يطلبون الى التلاميذ كتابة « مواضيع انشاء » وتوزيع فكرة لكاتب كبير ، ركزها في سطرين . وهكذا يقودون التلامذة الى السطحية والتفاهة . ان الانفصال الحاسم بين اساليب العلماء والادباء ، يتلخص في ان العلماء مجمولون بالضرورة ، على اختصار نص طويل بسطور قليلة ، اما الادباء فيرون ان البلاغة تقضي بتضخيم نص صغير بتعابير كلامية .

لقد ساعدتني تجربتي الذاتية على فهم تجربة عصرنا. فالتفكير في اثر فني ، اثناء ابداعه ، يجب ان لا يتوقف ، الا اذا بلغ التفكير آخر مراحل الوضوح والصفاء والضوء، والا كان العمل بداية ، او محاولة ناقصة . ولكن الوضوح نتيجة نهائية، وليس مادة للعمل الفني ولا منبعاً . فالمادة الاصيل، اي المنبع الاساسي للاثر الفني هو الشيء الغامض ، المضطرب الحائر في اعماق النفس ومطاويها السحيقة . وكثيراً ما يظن الفنان الفرنسي ، خطأ ، ان الوضوح يصنع من مادة الوضوح ، والواقع ان المصدر الحقيقي للاثر الفني المبدع ، والاتجاه الصحيح للجهد الفكري يجب ان ينصب على حمل الغامض الى مواطن الوضوح فلنغص الى اعماق الغموض المجهول ، ولكن لا كرجل ينتحر غرقاً ، بل كغواص قاصد واع ، يعود الى عالم الضوء والهواء ليعرض علينا ما اكتشفه في الاغوار .

ان مهمتنا في العالم الحديث تنحصر في بعث النزعة الانسانية وتطويرها . وفي الرسالة التي تناط بهذه النزعة ؟ رسالتها ان تستكمل عناصرنا الانسانية ، فتبدأ اولاً بما فينا من عناصر الممكن ، لتنطلق بتجربتها الى افق ابعد . فما هي العناصر التي تجعل من الانسان انساناً ، ما هي النقاط التي نتفوق فيها بالفعل على الحيوان ، النقاط التي يجب استكمالها ؟

لا تقع هذه النقاط في العالم الحسي ، والانفعالي حيث يتفوق الحيوان على الانسان احياناً . فالحيوانات تقوم بوظيفة معينة . والانسان وحده يملك نوعاً من الكينونة ، ويستطيع ان يرى وجوده وكينونته ، ويفهم ماهيته . ان اعظم واجباتنا الحديثة تنحصر في واجبين : الوضوح والصفاء ، اي الموضوعية ، والقيمة الكيفية الرفيعة . فالموضوعية وحدها ، هي بين ردود فعل الانسان ، فعل نفسي ينعكس على الخارج ويعود الى الذات فيخلق فيه معرفة دقيقة بذاته . والموضوعية هي التي تحملنا حملاً على نقد ميولنا كلها . وهذا ما اراه معرضاً ، في عالمنا الحديث لأعظم الاخطار . وسواء في الشرق ام في الغرب نرى الانسان مجبراً على تبني سلوك انساني سلبي الفعل ، سلبي الوظيفة الانسانية .

اما الحس بقيمة « الكيف » فهو قاعدة النزعة الانسانية ، والمرتكز الاول لسلم القيم ؛ فليس لدى الحيوان الا غرائز وشاهيات تقاس باختلافها في درجات القوة والكثافة . ولكنه لا يعرف شيئاً عن القيمة الكيفية النوعية ، علينا حماية هذه القيمة والحس المؤدي اليها ، فالحساسية هي التي تنتصر اخيراً في تقويم الكيف . وكثيراً ما يتراجع الانسان امام الجهد الذي يطلب منه حساسية كبرى . فيحاول ان يستعيض عنه بصيغة ذهنية او فكرية مختصرة تجر في اعقابها الآلية ، والاوتوماتية . ان كل ما في حضارتنا الراهنة من آلي يحملنا على تضحية احساسنا بالقيمة النوعية الكيفية ، ولا قيمة للصيغة formule في علم النفس او في الفن . ولهذا اعتبر الحساسية من مستلزمات الوضوح والموضوعية ، فمن العبث الجدال والنقاش في صدد النظريات الجمالية ، اذ لا قيمة لهذه النظريات منعزلة عن الآثار الفنية .

ومن المؤسف ان تتميز ايامنا الحاضرة بنقاش محتدم يبالغ في استخدام المذاهب والنظريات ؛ ان الوضوح ضروري ولكن إذا لازمه في الوقت نفسه ، بحث عن القيمة النوعية الحسية ، والوضوح يؤدي الى الكمال الذهني ، والقيمة الحسية الى الكمال الشكلي المحسوس . اما العمق والكثافة والقوة فلا يخشى عليها لانها تكون في جذور الفنان ، في اعماقه .

هكذا بالتوفيق بين عنصري الطبيعة الانسانية : الذهن والاحساس ، نشق الطريق الى فلسفة الثقافة والمعرفة ، لكي نخلق منها حكمة ثائرة خالدة .

م . ع .

الخطافون .. في الادب !

الاسلوب

في نظر طائفة كبيرة من كتابنا الناشئين هو ان تطالع اجود كتب العرب، وان تمعن في مطالعتها ما استطعت ، وان تستظهر رائع منثورها ومنظومها ثم تستعين بهذه الثروة اللفظية على الكتابة بافخم الاساليب العربية وابلغها .

وهكذا يقبل الاديب الناشيء على كتب العرب فيسحر بما يعثر عليه فيها من تراكيب وثيقة جزلة ؛ وجمل معبرة وافية، ومصطلحات تكسب العبارة متانة وجزالة وروعة . فلكي يصبغ اسلوبه بهذه الصبغة العربية الشائقة ، يسطو على تلك التراكيب والمصطلحات ، ويختطفها اختطافاً ، ويستخدمها في كتابته ، ويمزجها بعباراته ، ويؤلف منها ومن كلامه الخاص ضرباً من الانشاء المفتعل الزائف يسميه اسلوباً مبتكراً وتجديداً في الادب العربي المصري .

ولكنك ما ان تكاد تأخذ اعماله بنظرة فاحصة ، حتى تلمح بين سطورها تركيباً قرأته عند « القاضي الجرجاني » وآخر صادفك في كتاب « لابن المقفع » وغيره في « كليلة ودمنة » او في « فقه اللغة » او في « الاغاني » ، فتدرك حينئذ ان هذا الكاتب من الخطافين ، وان هذه هي فكرته عن الانشاء وهذا هو الاسلوب المبتدع الذي يفخر به .

وانا لا اشير الى هذه الحلة في بعض كتابنا الناشئين بقصد الانتقاص من الادب العربي جملة والدعوة الى اغفال مطالعته .

ولكني ارى ان المطالعة العربية ان هي ربت في الكاتب ملكة اللغة ، وزودته بالمحصول اللفظي الذي هو في حاجة اليه فهي لا يمكن ان تخلق اسلوبه . كما ان السطو على التراكيب والمصطلحات العربية لن يموه على الناس ان الكاتب صاحب شخصية مستقلة وان له اسلوباً .

واعجب ما اعجب له هو ان هذه الظاهرة الغريبة لا اثر لها في الآداب الاوروبية على الاطلاق .

فالادباء هناك قد يتأثرون بأسلافهم من حيث الروح والنزعة والفكر . ولكنهم لا يلجأون الى فقرات من كلامهم يحشرونها بين سطورهم حشراً ، ويزعمون انهم يقوون بها اساليبهم .

ان الاديب هناك لا يترسم ابداً اساليب الغير كألفاظ مجموعة ومهيأة في شكل خاص .

فاناتول فرانس مثلاً قد تأثر بفن الشاعر « راسين » او فن المفكر « فولتير » اي بفضائل الدقـــة والوضوح والتناسب الشائعة في ذلك الفن ، اما القالب اللفظي الفريد الذي يصب فيه راسين او فولتير عبارته ، فهذا ما لم يخطر لاناتول فرانس ولا لغير اناتول فرانس ان يحاكيه او يسطو عليه ويخطف منه مصطلحات وتراكيب يرى انها تفيد اسلوبه وتدعمه وتقويه .

والمدهش ان البعض من ادبائنا ينظرون الى هذه الظاهرة باعتبار انها دليل على سعة اطلاع وتمكن من ناحية اللغة ، بينما الامر في الحقيقة لا يخرج عن حد التقليد والعبودية والضعف .

فمصيبتنا بل مصيبة الادب العربي جملة ، تلك «الكليشيهات» الممقوتة التي يتناقلها الكتاب بعضهم عن البعض الآخر ، ويتوارثها الخلف عن السلف كأنما هي عقائد دينية او شرائع منزلة .

هذه « الكليشيهات » هي التي تشل الملكات الخالقة ، وتباعد بين الاديب وبين ادراك معنى الادب الصحيح ، وتحول بينه وبين التجديد الذي يطمح اليه .

فينبغي والحالة هذه على كل اديب ناشيء ان يفهم الاسلوب على اعتبار انه جهد شخصي يراد به الوصول الى اثبات وجود عقل شخصي ، يرى الحياة ويفكر فيها ويحس بها ويؤديها في صيغة ذات طابع شخصي .

ولكي تبرز شخصية الكاتب في اسلوبه بل لكي ينم اسلوبه عن خصائص شخصيته ويساعده على التعبير عن موسيقاه الروحية الخاصة وعن الخواطر والعواطف والصور والاخيلة التي يشعر بها ويلحظها في العالم الذاتي والعالم الخارجي ، يجب ان يقف الكاتب على جميع الاساليب ويشربها نفسه ، ويتغذى بها ثم يستوعبها ، ويبدع منها اسلوباً حياً طريفاً لا يمت بصلة الى اي اسلوب آخر بالغاً ما بلغ من الجمال والروعة .

والذي يجب ان يذكره على الدوام كل اديب ناشيء ، هو ان اللغة ليست مجموعة تراكيب صالحة للاستعمال ، نغير عليها وننقلها نقلاً ، بل هي مجموعة ألفاظ مبعثرة حرة في وسعنا ان نتخير منها ما نشاء ثم نجمعها ونؤلف بينها على طريقة خاصة متفردة نعرف بها ولا نتبع فيها غير وحي عقولنا وقلوبنا .

وكلما استطاع الكاتب ان يفتن في التأليف بين ألفاظه ، وان يصوغها صياغة غريبة جديدة بحيث تعبر ابلغ تعبير واتمه عن جوهر الغرابة والتمايز المودع في شخصه المستقل ، اقترب من تحقيق اسلوبه المبتدع ، والقى في روع القارىء ان الاسلوب فن لا خطف ، فن يراد به خلق نظام للالفاظ جديد يعبر عن منازع روحية وفكرية خاصة تسجل في تاريخ الادب لوناً طريفاً من الوان الحياة .

وبقدر ما تتوافر في الاسلوب قوى التعبير عن نفسية صاحبه وعن مختلف ظواهر الحياة الكبرى ، بقدر ما يدلل الكاتب على نبوغه وتفوقه ، وقدرته على تسنم ذروة الادب الرفيع

« اخبار اليوم »

ابراهيم المصري



١٧ يونيو ١٩٥٤ – وافقت لجنة الشؤون الخارجية الامريكية على اقتراح بمنع امداد فرنسا وايطاليا بالاسلحة الى ان توافقا على تصديق معاهدة الجيش الاوروبي .

١٨ – فاز المسيو منديس فرانس بثقة المجلس النيابي الفرنسي لتأليف الوزارة الجديدة .

١٩ – الف الاستاذ سعيد الغزي الوزارة السورية الجديدة .

– اندلعت الثورة في جواتيمالا التي تهاجمها عناصر ثورية قادمة من الهندراوس بقيادة الكولونيل ارماس قائد القوات الجوية السابق .

– احتجت حكومة جواتيمالا لدى مجلس الامن على الاعتداءات التي وقعت على اراضيها وطلبت انعقاد المجلس والنظر بصورة عاجلة في القضية .

٢٠ – وصل الى بيروت في طريقه الى تركيا السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا يرافقه وزير الخارجية والمالية .

٢١ – اعلن المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية لمناسبة عودته من مؤتمر جنيف ان المؤتمر قد خطا خطوة واسعة الى الامام فقد تم الاتفاق بين الجانبين الغربي والشيوعي على اجراء اتصالات بين القيادتين المختصمتين في دولة الفياتنام واجراء اتصالات مماثلة بين القيادتين في اللاووس وكمبودجيا .

٢٢ – صدر مرسوم ملكي بحل مجلس النواب الإردني .

٢٣ – افتتح الملك سعود في مدينة الخرج اول مصنع حربي في المملكة العربية السعودية ينتج الاسلحة والذخائر الحربية على اختلاف انواعها .

٢٤ – وصل الى واشنطن اللواء محمد رفيق عارف رئيس اركان حرب الجيش العراقي في زيارة رسمية بدعوة من الجيش الامريكي وقد اجتمع الى الجنرال ريد جواي رئيس اركان الجيش الامريكي وتباحثا في الشؤون العسكرية وفي حالة الجيش العراقي واحتياجاته على ضوء اتفاق المباعدة العسكرية الذي وقعه العراق مع امريكا .

٢٥ – وصل الى وشنطن السير ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية والمستر ايدن وزير الخارجية .

– وصل الى دلهي الجديدة قادماً من جنيف رئيس وزراء الصين شوان لاي واستقبله البنديت نهرو رئيس الحكومة الهندية وقد جرت بينهما محادثات رسمية سرية هامة .

٢٧ – على اثر انتهاء زيارة رئيس وزراء ليبيا السيد مصطفى بن حليم لتركيا صدر في انقرة بلاغ مشترك جاء فيه بان الدولتين قررتا التعاون لتوطيد السلام في الشرق الاوسط كما اشار البلاغ. الى الاتفاق على ضرورة مساندة ليبيا وتقديم المساعدات لها .

٢٨ – استقال رئيس جمهورية جواتيمالا السيد اربنز .

– انتهت المحادثات التي استمرت ثلاثة ايام حول الوضع الدولي بين الجنرال ايزنهاور والسير ونستون تشرشل وصدر بلاغ مشترك جاء فيه ان الرئيسين مصممين على ان تأخذ المانيا مكانها اللائق بها بين اسرة شعوب اوروبا الغربية كشريك مساو لكي تستطيع المساهمة بالدفاع عن العالم الحر وعن جنوب شرقي اسيا . قال البلاغ ان الرئيسين سيمضيان قدماً في وضع خطط الدفاع الجماعي عن هذه المنطقة لمجابهة الاوضاع الناتجة عن نجاح وفشل مؤتمر جنيف . وانتهى البلاغ بذكر زيادة التعاون في الحقل الذري بين البلدين.

٢٩ – وصل الى بيروت الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي المصري في زيارة رسمية للبنان.

٣٠ – استطاعت الحكومة العسكرية الجديدة في جواتيمالا المؤلفة من الضباط مونزون وكروز ودوبرا الوصول الى اتفاق مع حكومة الثوار التي يرأسها الكولونيل ارماس بشأن وقف اطلاق النار والشروع في المفاوضات لاقرار الامن .

اول يوليو ١٩٥٤ – بدأت القوات الفرنسية في الهند الصينية تجلو عن جميع المنطقة الجنوبية من دلتا النهر الاحمر ومساحتها ١٧٠٠ ميل مربع وهي اغنى مناطق الدلتا واكثرها ازدحاماً بالسكان .

٢ – جرى توقيع اتفاقية الصلح في جواتيمالا وقد اتفق الكولونيل كاستيلو ارماس زعيم الثوار والكولونيل مونزون رئيس الحكومة العسكرية على العمل معاً في مجلس عسكري جديد.

٥ – اذيع من عمان ان الملك حسين ملك الاردن ارسل الى ملوك ورؤساء وامراء الدول العربية رسائل يعلمهم فيها «بالاعتداءات الصهيونية المتكررة» التي تتعرض لها الاردن وبان امكانيات الاردن المحدودة لا تسمح لها بالمقاومة وحدها ويطلب الملك حسين من الدول العربية مساعدة الاردن والمساهمة في تقوية الحرس الوطني .

٧ – قدم مندوب لبنان في هيئة الامم الى مجلس الامن الدولي شكوى على اسرائيل بسبب عدوانها على مدينة القدس .

٨ – وصل الى القاهرة الدكتور عبد الله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية في زيارة لمصر .

١٠ – اعلن الباندبت نهرو ان الهند ستظل بمعزل عن الكتلتين الدوليتين وستواصل انتهاج سياستها الاستقلالية .

١١ – استؤنفت المفاوضات المصرية البريطانية للجلاء عن السويس بعد توقف دام سنة .

١٢ – ادلى مستر هنري بايرودو كيل وزارة الخارجية الامريكية ببيان امام احدى لجان الكونجرس قال فيه ان ازدياد تأييد الاتحاد السوفياتي للدول العربية يهدد مصالح امريكا في الشرق الاوسط .

١٣ – وصل الى باريس دلاس وزير خارجية امريكا وايدن وزير خارجية انجلترا واجتمعوا بمنديس فرانس رئيس الوزارة الفرنسية ووزير خارجيتها وبدأ الثلاثة محادثاتهم حول قضايا اوروبا وتشكيل حلف للدفاع عن جنوب شرقي اسيا .

١٤ – وصل الى وشنطن رئيس وزراء ليبيا السيد مصطفى بن حليم الذي سيقوم بسلسلة اجتماعات ومحادثات مع الحكومة الامريكية في صدد الامور العسكرية والاقتصادية .

١٥ – حذر البنديت نهرو رئيس حكومة الهند في خطاب له من مغبة عدم وقف الحرب في الهند الصينية واكد ان السماح لها بالاتساع سيعرض العالم لخطر مواجهة الابادة نتيجة الحرب الذرية الهيدروجينية .

– ادلى السير ونستون تشرتشل ببيان خطير ذكر فيه انه تحادث مع الرئيس ايزنهاور بشأن مصر وقال انه من الاوفق ان لا تنفرد بريطانيا بعد اليوم في الاشراف على قاعدة قنال السويس وان تشترك معها حليفتها الولايات المتحدة بهذا الاشراف .

١٦ – وصل الامير عبد الاله ولي عهد العراق الى لبنان .

دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان
تلفون ٢٨٧٥٧